دار الثقافة

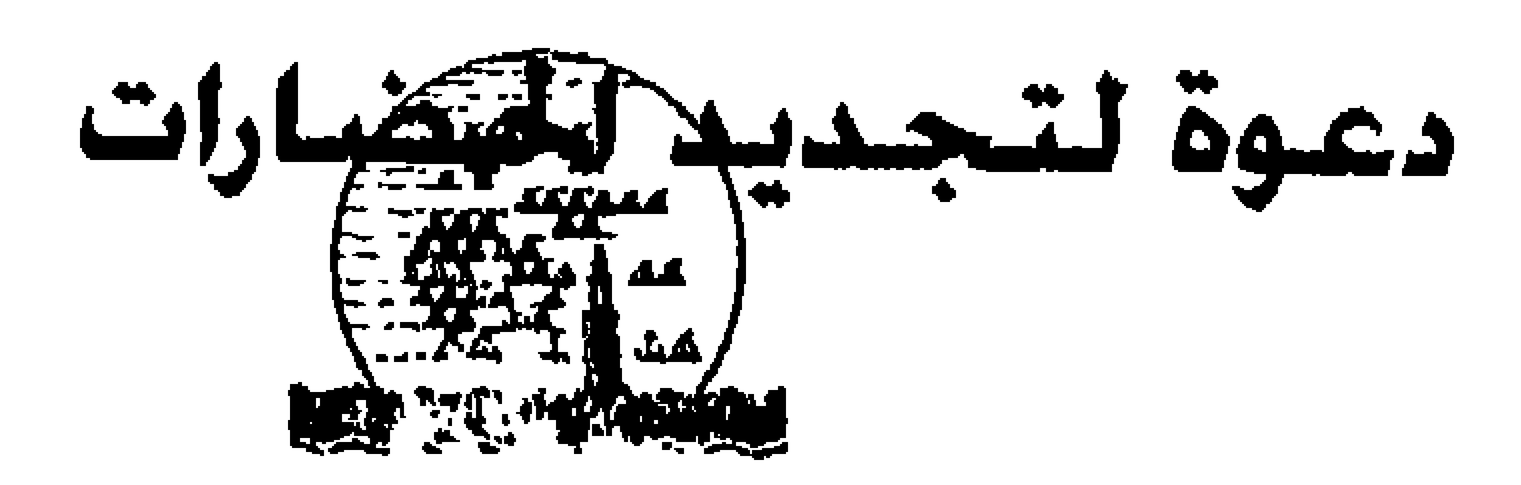
الإنجيل والحضارة

دعوة لتجديد الحضارات

دكتور القس صموئيل حبيب

الإنجيل والحضارة

دعوة لتجديد الحضارات



دكتور القس صموئيل حبيب



طبعة أولى

الإنجيل والحضارة

صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠/ ٧٣٣/ط١/ ١-١/ ٩٧

رقم الإيداع بدار الكتاب: ٨٨٣٠ / ٩٧

ISBN 977 - 213 - 392 -x

جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

تصميم الغلاف: سها ناجي

مقدمة الدار

يفصل المؤمنون أحياناً بين الدين والحضارة، وبذلك اختلطت المفاهيم لديهم، ويتساءلون هل يخضع الدين لحضارة المجتمع أم العكس، وهل تستطيع الحضارة أن تفسد الدين، وهل يمكن أن يتعايش الدين مع الحضارة القائمة.

ولذلك رأت دار الثقافة نشر هذا الكتاب للدكتور القس صموئيل حبيب، حيث يوضح فيه **ماهية الحضارة** على مر العصور المختلفة في المجتمعات المختلفة، وكيف ظهرت **الأديان** في وسط هذه الحضارات، وكيف أن الدين ارتبط أحياناً بحضارة هذا المجتمع لكي يصل بسهولة لعقول الناس.

والكاتب هنا يقدم دراسة شاملة دقيقة، وخاصة عن علاقة المسيحية بحضارة المجتمع التي نشأت فيه، وكيف انتشرت المسيحية وسط الحضارات في مختلف العصور لمختلف المجتمعات.

ودار الثقافة تقدم هذا الكتاب راجية للقراء كل فائدة روحية وفكرية، في وقت تعددت فيه الاتجاهات الفكرية بين متدين متحرر ومتدين أصولي وآخر معتدل.... فما هي القضية؟

دار الثقافة

في هذا الكتاب

صفحة

تمهيد

اهتمت دوائر عديدة في أواخر القرن العشرين بدراسات عن العلاقة بين "الدين" و"الحضارة". إلاّ أن القضايا المطروحة ليست كلها جديدة، فهناك أطروحات فكرية قدمت في مراحل سابقة، وكانت جديرة بالدراسة والتفكير.

من هذه الأطروحات: علاقة النص الكتابي بظروف المجتمع والبيئة التي ورد فيها النص. والدراسات اللاهوتية والكتابية التي تتعرض لهذه القضية تناقش مضمون النص الكتابي وتفسيره، وتطبيقه على الواقع المعاصر. وهذه دراسة هامة جداً لفهم الكتاب المقدس في إطار العصر.

وهناك دراسات عديدة حول مكان الديانات في العالم، وموقف المسيحية منها. فما هي علاقة المسيحية باليهودية من جانب، وبالإسلام من جانب آخر. وما هي علاقة المسيحية بالديانات الكبرى في العالم الثالث كالبوذية والهندوسية؟ وما هو رأي المسيحية في الديانات -التي سميت بالبدائية؟

وتدور على الساحة حوارات عديدة حول موقف المسيحية من الأيديولوچيات. ففي الوقت الذي فيه انتشرت الماركسية دارت حوارات عديدة حول رأي المسيحية في الماركسية. وهناك بحوث فكرية لاهوتية عديدة حول المسيحية والاشتراكية، أو الشيوعية أو كليهما.

ففي أواخر القرن العشرين، انتشرت البوذية في الدول التي عرفت

بأنها دول مسيحية. كما دخل الإسلام إلى كثير من هذه الدول. وتواجدت اليهودية في عديد منها. وبذلك حدثت مواجهة مباشرة بين هذه الديانات مع المسيحية. فعلى سبيل المثال: تواجد البوذية في مدن أمريكا أثار التساؤل والحوار اللاهوتي حول علاقة المسيحية بالبوذيين. وتواجد الإسلام في بريطانيا، إلى جانب ديانات الهندوس والبوذيين، أثار الحوار عن علاقة هذه الديانات مع المسيحية في بريطانيا.

ومع انتشار الديانات من جانب، وظهور اللادينية من جانب آخر، ظهرت بصورة واضحة تعددية دينية أو إثنية أو عنصرية من جانب آخر. وكان لابد للكنيسة أن تواجه التعددية بأنواعها. فظهرت مدارس فكرية لاهوتية متنوعة.

وفي مواقع عديدة صارت المسيحية أقلية، وصار على المسيحية أن تدرس دورها كأقلية في مجتمع الأغلبية. وبذلك صار على الكنيسة أن تدرس برؤية مستقبلية مكانها وتواجدها في المجتمعات المتعددة الحضارات والديانات واللغات.

وقد أثار هذا تساؤلات عديدة عن مكان الدين من الحضارة، ومكان الحضارة من الدين. وهل الدين جزء من الحضارة؟ وما هي العناصر الحضارية التي تؤثر على الدين؟ وهل للدين دور في التأثير على الحضارة؟

ولابد أن هذه الدراسة تقودنا للتعرف على الحضارة. فما هي الحضارة؟ وما هو دورها في تكوين القيم السلوكية لكل مجتمع؟

ومع دراستنا للحضارة نحتاج أن ندرس الإنجيل. فما هو الإنجيل؟ وما هي علاقة المسيحية بالإنجيل؟ وما هو دور الإنجيل في الحضارة؟

وللتطور العلمي والتكنولوچي دور أساسي في مجتمع اليوم. فإنه إلى جانب التأثير المباشر على الحياة اليومية، فالتقدم العلمي له تأثير مباشر على القيم الدينية والمجتمعية. وقد ظهرت أيديولوچيات عديدة لها تأثيرها على العالم والإنسان. فهناك ارتباط وثيق بين الأيديولوچيات والحضارات.

وتطور العالم نحو الكوكبية globalism، يجعل العالم كله تحت تأثير سياسات دولية -لا محلية- مما أعطى مكاناً لبعض الهيئآت الدولية، مثل صندوق النقد الدولي International Monetary Fund، ومنظمة التجارة العالمية World Trade Organization، والبنك الدولي World Bank. كما أصبح لوسائل الاتصال العالمية -ونحن في عصر المعلومات- دور أساسي. كل هذه تؤثر على المجتمعات الدولية، كما تؤثر على المجتمعات المحلية، كما على الفرد.

ومن وراء ذلك، تقف الكنيسة منقسمة إلى طوائف عديدة، ولابد لها من التماسك أمام تحديات العصر. ومظهر "الوحدة في تنوع" هو لون

الوحدة الذي تصبو إليه الكنيسة في المجتمع المعاصر.

ورسالة الكنيسة للعصر، موضع دراسة جادة. فللكنيسة دورها الهام في العبادة الجمهورية لشعب الرب، كما أن لها دورها الهام في تنمية المجتمع العام، وخدمة الفقراء والمهمشين في المجتمع.

ومن خلال ذلك نرى كلمة الله، التي كتبها أناس الله مسوقين من الروح القدس، تبقى لها مكانتها وفعاليتها في حياة العالم والمجتمع البشري في كل مكان.

ومن خلال دراسة الحضارة والدين يثور التساؤل: هل هناك حضارة مسيحية؟ وما علاقة المسيحية في مهدها بالمجتمعات الرومانية اليونانية، وفيما بعد بالقبطية المصرية، وغيرها.

يدفعنا هذا لدراسة في سفر أعمال الرسل، لنرى كيف أن المسيحية منذ بدئها واجهت حضارات متنوعة، وكيف قاد الروح القدس الكنيسة الأولى في مواجهة هذه الحضارات. تعاوننا هذه الدراسة على اكتشاف ما عملته كنيسة الرسل في مواجهة صريحة مع "الآخر" والوسائل التي استخدمتها في تقديم إنجيل المسيح.

قضية علاقة الإنجيل والحضارة قضية علمية هامة للعصر الحاضر. نحتاج أن نتقدم لدراستها بعقل مفتوح، لمواجهة التحديات الفكرية،

والمدارس المتنوعة. وفي هذه الدراسة نحن نحاول أن نكتشف دور الإنجيل في حضارات العالم.

نهدف من هذه الدراسة أن نكتشف الصراع الحادث في حضارات العالم وهي تواجه العصر، ومكان الإنجيل داخل هذه الصراعات الفكرية: دينية كانت أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية.

تقدم هذه الدراسة للبحث والتحليل في المجتمعات المتنوعة لتفتح الآفاق الفكرية للمثقفين والدارسين.

المؤلف

لاهوت الإنجيل والحضارة

أولاً:

ما هي الحضارة؟

ليس من السهل تعريف الحضارة فلا يوجد تعريف واحد للحضارة، بل هناك مئات التعاريف للحضارة[١]. فللحضارة أبعاد سياسية ودينية واجتماعية وأنثروبولوجية. ولها علاقة بالحياة والتاريخ والأخلاقيات والدين والفن والقيم[٢].

كلمة حضارة Culture الإنجليزية، مأخوذة من الكلمة اللاتينية Colere والتي تعني: أن نحرث معاً، أن نبني بيتاً ونقيم فيه، أن نحترم، أن نعبد، أن نكرم[٣]. فهي كلمة غنية في معناها ومحتواها. وهي تتضمن كيف يعيش الإنسان ويؤمن ويرجو ويموت[٤]. فالحضارة نظام لمباديء، ومجموعة من قيم، واتجاهات في الفكر والسلوك، واستراتيجيات تواجه تحديات المجتمع[٥]. يدخل فيها العلاقات بين الناس، كما يظهر فيها فن المعمار، ويعبر عنها الدين، ومظاهر العبادة، والفن والسياسة، كما تعبر عنها الحياة الإنسانية، والجنسية، وكل جوانب الجهد البشري. فكل طقوس السلوك التي تميز مجتمع ما، وكل التكنيك الذي يصفه، حضارة[٦].

عرّف الفاتيكان الحضارة بأنها "الوقائع التي تجمع الجوانب الروحية

---

(١) Tesfai, **Ecumenism Culture & Syncretism.** p. 18
(٢) Ibid.,
(٣) WARC. p. 134
(٤) Ibid.,
(٥) Ibid.,
(٦) Tesfai. **op. cit.,**

والمادية معاً. فهي مجهود الإنسان ليضع العالم تحت سلطانه بمعرفته وعمله. وبها تصبح الحياة الاجتماعية أكثر إنسانية في الأسرة والمجتمع المدني"[٧].

ولما كان تعريف الحضارة متسعاً بهذا الشكل، فلعله من المناسب أن نقدم دراسة تحليلية لمفهوم الحضارة، لعلنا من خلالها نقف على المضمون الواضح لهذه العبارة. وهذا سيساعدنا -دون شك- على استكمال دراسة العلاقة بين الحضارة والإنجيل.

(١) حضارة مجتمع وليست حضارة فرد

أن تكون لك حضارة، فهذا يعني أن لك مجتمعاً. فالحضارة نماذج وسلوك جماعي، فهي ليست حضارة فرد[٨]. ولأنها حضارة مجتمع، فهي ملك للمجتمع وليست ملكاً لفرد. فالحضارة ترتبط بالبيئة الاجتماعية[٩]. والتكوين الحضاري، يرتبط بالتنظيمات الجماعية في جماعة دائمة. فالحضارة والتواجد الاجتماعي يسيران معاً[١٠]. والحضارة هنا -قد لا ترتبط بالحدود السياسية- لكنها علاقات منظمة، وأدوار عمل، واتصالات مرتبة، وضبط اجتماعي، ونظم بين الجماعات[١١].

(٧) Ibid.,

(٨) Luzbebak. **The Church and Cultures.**, p. 167

(٩) Ibid., p.74

(١٠) Ibid., p. 33

(١١) Ibid., p. 166

والحضارة -في مجتمع ما- هي حصيلة كل ما ظهر من أجل تقدم الحياة المادية، كتعبير عن القيم الروحية والأخلاقية والاجتماعية في هذا المجتمع. فهي تتضمن الفنون والآداب، والعلوم. تشمل اللغة والعادات والأفكار، والعقائد والتقاليد والنظم الاجتماعية والقيم والتراث الاجتماعي[١٢]. بل هي ترتبط بالأساليب والوسائل المعيشية: كالأكل والزواج والحب- وغيرها[١٣]. فهي تشمل كل الحياة المعيشية والمجتمعية[١٤].

والحضارة تراث اجتماعي[١٥]. فالمجتمع، هو تجمع بشري، منظم، يجد كفايته الذاتية في مجالات معينة، تشترك في استمراريته عبر الأجيال[١٦]. فالحضارة هي ذلك التراث الاجتماعي، الذي يستقبله الناس، ويورثونه للغير[١٧]. والتوريث هنا اكتسابي- لا فطري. أي أنه يتم بالتعليم والتلقين.

والحضارة ترتبط بالمجتمع الأكبر. رغم أن هناك حضارات فرعية تعيش مع الحضارة الأعم[١٨]. فعلى سبيل المثال: الحضارة المصرية حضارة شاملة للمجتمع المصري كله. وتوجد داخل هذه الحضارة، حضارات فرعية Sub

---

(١٢) Neibuhr, **Christ and Culture**, p. 31

(١٣) Luzbebak. **op. cit.**, p. 75

(١٤) Ibid.,

(١٥) Neibuhr, **op. cit.**, p. 33

(١٦) Luzbebak. **op. cit.**, p. 166

(١٧) Neibuhr, **op. cit.**, p. 33

(١٨) Luzbebak. **op. cit.**, p. 171

Cultures. وتكون لهذه الحضارات الفرعية مواصفاتها الجنسية Sex أو العنصرية Race، أو غير ذلك[19]. وتوجد حضارة إسلامية داخل حضارة الهند. وهناك حضارة الصعيد داخل الحضارة المصرية. أو الحضارة القبطية داخل الحضارة العربية.

ولما كانت الحضارة مجتمعية، فهي تعددية. فالتنوع يرتبط بتنوع البشر، في دورهم في المجتمع، وفي مهامهم وحرفهم[20]. ولما كانت هناك حضارات فرعية تعيش داخل حضارات أخرى، فالتعددية تتواجد داخل المجتمع الواحد.

ولما كانت الحضارات حضارات مجتمعات، فهي حضارات متفردة Uniqe[21]. فحضارة مصر، غير حضارة الصين، غير حضارة الهند، غير حضارة بريطانيا، وهكذا. فكل مجتمع يتميز عن المجتمع الآخر في السكن والملبس وعادات الأكل والزينة، كما نرى لكل مجتمع عاداته الاجتماعية في التعبير عن الحب، كما في الميراث، والعلاقات الأسرية المجتمعية. كما نرى مكاناً خاصاً للدين، والقانون، واللغة، والملكية، إلى غير ذلك، من المواصفات التي تدمغ كل مجتمع، عن غيره.

ولما كانت الحضارة حضارة مجتمعات فهي تتغير وغير ثابتة. فالحضارة

---

(١٩) Duraisingh. **Editorial,** IRM. p. 366

(٢٠) Neibuhr, **op. cit.,** p. 38

(٢١) Luzbebak. **op. cit.,** p. 158

تتطور والمجتمع يتكيف. نحن نولد بدون حضارة، ونتعلم الحضارة من أجيال سبقتنا ، ومن أجيال تعيش معنا . هناك ثوابت في الحضارة لا تتغير بسهولة عبر الأجيال، إلا أن هناك تغيرات جوهرية يمكن أن تحدث. وهناك جماعات انقرضت، وانقرضت معها حضارتها .

ولعلنا نرى بعض النماذج في الحياة البشرية. فالهنود يحبون الأكل المليء بالشطة. والألمان يأكلون اللحم نيئاً بينما الأمريكان يرفضون ذلك. والأمريكان يمسكون بقولحة الشامي ليأكلونه On the Cob، بينما يرفض الألمان ذلك. يأكل المصريون الملوحة، بينما يرفضها الغربيون، وهكذا...

في مصر يزورون القبور بالطعام، وكذلك في الصين، بينما يزور الأمريكان القبور بالورد. ملابس الهندية تختلف عن ملابس العربية. وهكذا نرى التنوع الحضاري في المجتمعات، يميزها. هناك مجتمعات تأكل أرجل الضفادع ومجتمعات أخرى ترفضها كلية.

فقراء المجتمع المصري يلبسون الجلباب للرجال أو النساء. أما فقراء البرازيل فيلبسون الشورت أو البنطلون مع القميص للأولاد والبلوزة للبنات. ولما كان جو البرازيل حاراً طوال العام، فهذه الملابس هي ملابس الكل دون تفرقة.

فالحضارة حضارة مجتمعات، عاشت معاً، وكافحت من أجل الحياة.

أخذت بأساليب المعيشة معاً كأساليب مجتمعية. والفرد -في المجتمع- جزء منه. والحضارة وحدها بدون الإنسان لا شيء. فالحضارة قائمة على الإنسان.

(٢) الحضارة حصيلة الجهد البشري

الحضارة في كل مشتملها من صنع الإنسان، فهي قصد إنساني[٢٢]. وهي في كل مجالاتها نتيجة إعمال عقل الإنسان ويديه[٢٣]. ما يحدث من الطبيعة طبيعي، وما يحدث من الجهد الإنساني حضارة[٢٤]. فهي تشمل التكلم والتقييم والتقاليد والفنون والقانون والاختراعات والتكنولوچيا. والإنسان صانع الفلسفة والعلوم والقانون. كما أنه صانع الخرافات.

لا توجد حضارة بشرية يمكن أن نطلق عليها، حضارة موت. فكل حضارة كافحت لتكون حضارة قيم وأخلاق، وعادات وتقاليد[٢٥]. وكل حضارة إنسانية تبني الأسس اللازمة لحياة الإنسان ومعيشته. فالحضارة إنتاج بشري[٢٦].

---

(٢٢) Neibuhr, op. cit., p. 34
(٢٣) Ibid., p. 33
(٢٤) Ibid.,
(٢٥) Tesfai., op. cit., p. 17
(٢٦) WARC. op. cit., p. 134

والإنسان هو صانع الطائرة والتليفون والكمبيوتر وكافة الاختراعات في هذا العالم. وهو الذي يبني الكباري والمنشآت المتنوعة. والإنسان هو الذي يرسم سياسات الشعوب.

والحضارة تعددية بتعدد المجتمعات البشرية. وهي تورث من خلال الجهد البشري. فالجهد البشري عنصر هام في حياة المجتمع، وهو وليد الفكر والثقافة. هناك من يقللون من أهمية الجهد البشري، وهذا خطأ. فقد جاء الإنسان إلى العالم يحمل معه مسئولية تنظيم المجتمع، والعمل فيه وله، ولصالح الجنس البشري.

ولما كانت الحضارة وليدة الجهد البشري، فهي تتغير وتتحسن، تنمو وتتطور، تعيش وتختفي بحسب القصد الإنساني[٢٧].

فالحضارة في صميمها تركيبات من صنع الإنسان[٢٨]. وبدون الناس لا معنى لها[٢٩]. فهي لا تهتم بذاتها، بل لما تعمله للبشر. وللحضارة علاقة أصيلة بالعلاقات البشرية، وما ينتمي إليها من تركيبات. ولذا فالحضارة هي المرحلة التكوينية للتكيف والتغيير في الجماعات البشرية.

(٣) الحضارة تصنع قيم المجتمع

ليست الحضارة مادية[٣٠]، رغم أنها تتفاعل مع المجتمع المادي. فعالم

(٢٧) Luzbebak. op. cit., p. 172

(٢٨) Duraisingh. op. cit. p. 367

(٢٩) Ibid., p. 360

(٣٠) Neibuhr, op. cit., p. 36

الحضارة هو عالم القيم. فما يعمله الإنسان يعمله بهدف، وكل مجهود بشري له هدف وقصد في عقل صانعيه. ومهما تغيرت الأهداف، فالمقاصد الرئيسية هي إيجاد توافق اجتماعي. فالفن له رمز ومعنى، وكذلك اللحن. وحيث هناك قصد، هناك قيمة اجتماعية. هذه حضارة. ومن خلال هذه المقاصد، يحقق الناس ذواتهم، فالحضارة في صميمها تهدف لصالح الإنسان[٣١].

والحضارة في كل أشكالها وأنواعها تهتم بتحقيق القيم الوقتية والمادية[٣٢]. فالحضارة تعمل من خلال نظام مركزي للقيم يرتبط بحياة الناس والبيئة الاجتماعية[٣٣]. والقيم تتنوع مع تنوع المجتمع وخبرته عبر العصور.

ليست الحضارة أحداثاً (events)، بل أفكاراً وقيماً. فالتاريخ والأحداث تعكس حضارة المجتمع. والحضارة تقف وراء السلوك البشري، تكشف نفسها من خلال الطقوس والعلاقات والممارسات السوية. فالحضارة هي الطريق الذي يخطط به مجتمع ما لحياته[٣٤].

الحضارة هي مجموعة عقائد ومقاييس ونظم وعادات[٣٥]، قد تكون عقلانية أو لا عقلانية[٣٦]، قد تكون ناجحة أو فاشلة، قد ترتبط بالحق أو

(٣١) Ibid.,p. 35
(٣٢) Ibid.,p. 36
(٣٣) Ariarajah. **Gospel and Culture.**, p.4
(٣٤) Luzbebak. **op. cit.,** p. 157
(٣٥) Ipid., p. 156
(٣٦) Ipid., p. 158

بالباطل. ترتبط بالقيم المجتمعية وعادات الناس وردود الفعل المتناقلة عبر الأجيال(٣٧) فهي ترتبط بالشكل كما ترتبط بالقصد. نرى فيها كيف يضحك الناس، وكيف يبكون، كما ترسم أساليب المقاومة، والنقد، والنمو، وإلحاق الضرر، إلى غير ذلك.

أحياناً تسبب الحضارة مشكلات ولا تحلها(٣٨). فهناك حضارات تسبب القهر وتنشر الكراهية. فهناك من بحضارته يتعالى على حضارة أخرى. وهناك حضارة تستغل حضارة أخرى لصالحها. فكم من حضارات تحطمت وقهرت. نرى ذلك في صراع حضارات البيض مع حضارات السود، وتهميش دور المرأة، والإقلال من قيمتها، والإساءة إلى الأقليات.

ونحن نشاهد حضارات تحترم الرجل، ولا تضع المرأة على نفس المستوى من المساواة. كما نشهد مضمون فهم الحياة الجنسية بتنوعه. فالزواج والطلاق لهما نظم حضارية. ومفهوم الكرامة والكبرياء يرتبط بنظم قبلية. وملابس المرأة، وغطاء الرأس، ونوع الأكل: المقبول منه والمرفوض، وبعض الصفات المجتمعية كالشك والنفاق، كلها وليدة نظم حضارية.

بل نظم العقاب، كرجم المرأة الزانية، وقطع يد السارق، إلى غير ذلك، كلها نظم حضارية.

---

(٣٧) Ibid.,p. 134

(٣٨) Ibid.,p. 158

لكننا، لا يجوز لنا أن ننسى أن الحضارة في أساسها في خدمة الإنسان. فهي جهد بشري يعمل من أجل الإنسان وتقدمه[٣٩]. فالناس من خلال الحضارة، يريدون المركز والمجد، الجمال والحق، الصلاح والعدالة. والحضارة تهتم بهذه القيم، كما تهتم بتحقيقها[٤٠]. فالحضارة تتطلع إلى السلام والعدالة، الحرية والحق. وهي تهدف أن تكون عملية، ممكنة التنفيذ، رغم أنها لا تحقق ذلك دائما[٤١].

وهناك حضارات تتقدم وحضارات تتأخر. فكلما كانت الحضارة تحترم الإنسان وحريته وآدميته، كان هذا تقدماً. وكلما قلّ احترام الإنسان وقيمته الذاتية، كان هذا تأخراً. فالانتقام والأخذ بالثأر صفات ترتبط بحضارات معينة.

وهناك حضارات تستخدم العنف في تطبيق سياساتها، والسلاح في نشر فكرها. ألم يصلب السيد المسيح نتيجة خلاف فكري؟ ألم تنتشر ديانات من خلال استخدام السلاح؟ ألم تنشر حضارات العبيد، بل ما احتوته من ذل ومهانة وإقلال من قيمة الإنسان، بسبب الأثرياء الذين قصدوا إذلال الفقراء واستعبادهم؟ ألم تستخدم بعض ديانات وسائل عديدة لإذلال النساء والأطفال، وقهرهم، لإدخالهم ديناً جديداً؟ ألم تستخدم

---

(٣٩) Neibuhr, **op. cit.**, p. 35

(٤٠) Ibid.,p. 37

(٤١) Luzbebak. **op. cit.**, p. 158

-عبر التاريخ- وسائل لإذلال المرأة أمام الرجل، فظهرت ممارسات ختان الإناث وليلة الدخلة، إلى غير ذلك من الممارسات المؤلمة والشريرة؟

من هنا كان دور الجهد البشري، في تغيير الحضارات وتصويب مسيرتها. فكلما تقدم العلم، وأدرك الناس مفهوم حقوق الإنسان، تغيرت حضارات القهر- من خلال الجهد البشري- إلى حضارات تبني المجتمع، وتحقق العدل والمساواة.

فالحياة البشرية، تنشيء الحضارة بالجهد الإنساني، ويعيش الإنسان بها. والحضارة تعطي الإنسان ذاتيته، كفرد، كما تعطي المجتمع ذاتيته كمجتمع. والقيم المجتمعية التي تصنعها الحضارات قيم عميقة الجذور في المجتمع وفي أعماق الناس.

(٤) الدين والحضارة يتداخلان معاً

ما هو مكان الدين من الحضارة؟ الحضارة والدين قد يظهران متميزين، وقد يتداخلان. يرتبط الدين في مجتمع معين بحضارته، لدرجة أنك لا تقدر -أحياناً- أن تميزهما[٤٢]. الدين يصنع القيم وكذلك الحضارة[٤٣]. يتحدث البعض عن أن الدين والحضارة شيء واحد. فالحضارة، عندهم، هي الدين وقد صار مرئياً[٤٤]. وهناك من يرى أن الحضارة لها دياناتها

(٤٢) Neibuhr, **op. cit.**, p. 32
(٤٣) Ariarajah. **op. cit.**, p.4
(٤٤) Ibid.,

التقليدية[٤٥] وهناك -أيضاً- من يرى أن الحضارة أكثر شمولاً من الدين[٤٦].

يرى البعض أن الحضارة لا دينية، ولا إلهية، أي أنها دنيوية. بل يتمادى البعض في القول إنها ضد الله، ويقول البعض الآخر إنها طبيعية، ترى الله بعقلانية[٤٧].

ظهر الاختلاط والتداخل بين الدين والحضارة، لأسباب عديدة. فالحضارة تصنع القيم ومبادىء السلوك، والعلاقات الاجتماعية، والنظم الأخلاقية[٤٨]. وكذلك الدين يصنعها أيضاً. كما أن كل دين يبني حضارة، لكن لا ترتبط كل حضارة بدين. وكل دين ظهر في حضارة معينة، ارتبط ببعض مفاهيم ونظم حضارته.

يهتم الدين بتقدم الإنسان وتحقيقه لذاته[٤٩]، وكذلك الحضارة. مرات ترى أن الحضارة أقوى من الدين في تأثيرها على الإنسان، ومرات أخرى يكون الدين أقوى من الحضارة. فلو أخذنا على سبيل المثال: في مجتمع يعتبر أن الأخذ بالثأر كرامة للأسرة، ترى أن الناس ينقادون إلى ممارسة الثأر باعتباره جزءاً من كيانهم. وكثيراً ما يقف الدين حائراً أمام التراث الاجتماعي.

---

(٤٥) Duraisingh. **op. cit.** p. 366

(٤٦) Ibid.

(٤٧) Neibuhr, **op. cit.**, p. 29

(٤٨) Ariarajah. **op. cit.**, p.4

(٤٩) Neibuhr, **op. cit.**, p. 35

بعض الممارسات الدينية كانت جزءاً من حضارات شعوبها ما قبل ظهور الدين. فلو نظرنا -مثلاً- إلى الديانات الإبراهيمية: اليهودية، المسيحية والإسلام، نجد أن بعض ممارساتها كانت موجودة في مجتمعاتها قبل ظهورها. كالحج، وصوم شهر كامل، إلى غير ذلك. وهناك تقاليد توارثت من دين إلى الدين الذي جاء بعده. فاليهود لا يأكلون لحم الخنزير. واليهودي لا يأكل من اللحوم ما لم تذبح طبقاً للشريعة اليهودية. والختان الذي يمارسه اليهود كان موجوداً قبل ظهور اليهودية.

ولو أخذنا موقف المرأة نموذجاً. فكل الحديث عن ملابس المرأة حديث يرتبط بحضارة العصر. والحضارة هنا تتميز، لدرجة أنك في مدينة كبيرة كالقاهرة تجد بعض البيئات فيها تضع سياسة لملابس المرأة تختلف عن غيرها. فملابس المرأة قضية حضارية لكن البعض حولوها إلى قضية دينية، وربطوا بين الحضارة والدين. وهكذا عند الحديث عن مكانة المرأة في المجتمع، فهي قضية حضارية. فحتى لو كانت هناك نصوص دينية عن مكانة المرأة، فهي وليدة مجتمعها الذي أعلنت فيه النصوص. ومشكلة عقاب الزانية دون عقاب الزاني، ظهرت أولاً مع الشريعة اليهودية. ثم عقاب الزانية بالرجم أسلوب عصرها. فلن يقبل أحد اليوم رجم إنسان حتى الموت. فحضارة العصر لا تقبل ذلك- والمشكلة أن ديانات عديدة، خلطت بين الحضارة والمعاني الإيمانية، وكان الأحرى أن يبقى واضحاً أن

أساليب حضارة العصر قد تتغير. وليس من المعقول ربط الإيمان بعناصر أساليب حضارية تنتمي إلى حضارة القهر.

ولعل حضارة المجتمع ترسم صورة الله لدى المجتمع ذاته. فمجتمع الفقراء يرى الله "ربنا بتاع الغلابة". ومجتمع الأغنياء يرى الله بخلاف ذلك.

أحياناً يصعب الفصل بين ما هو ديني وما هو حضاري[٥٠]. فكيف تفصل الهندوسية عن حضارة الهند؟ ولا شك أن هناك علاقة بين الحضارة الغربية والمسيحية مثلاً.[٥١] فليس من السهل أن تفصل بين مجموعة الأعمال والعادات والتقاليد في مجتمع عن القيم والعقائد السائدة فيه.

يضاف إلى ذلك، أن عناصر الحضارة تؤثر على علاقة الناس بالله: كاللغة، والموسيقى، والفن، وكافة التعبيرات البشرية التي تصف سلوكهم وحياتهم.

وهنا يأتي سؤال: هل الحضارة ضد الله؟ أم أنها تدفع لعبادة الله. لا نقدر أن نضع إجابة عامة، فماذا نقول عن عبادة الشيطان التي تمارس في أماكن عديدة؟

ثم يثور سؤال آخر: هل الدين من صنع الله أم من صنع الإنسان؟ ونحن

(٥٠) Tesfai, op. cit. p. 35

(٥١) Ibid.

نتحدث هنا عن "الدين" بصفته العمومية. فهناك ديانات كانت متواجدة قبل إبراهيم. منها ما يعيش إلى اليوم، ومنها ما اختفى. وهناك ديانات، بدائية متواجدة في أماكن عديدة؟ فهل نحن نميز بين "الدين" و "الإيمان"؟ وهل نتحدث عن ديانات وليدة الجهد البشري، وديانات من السماء؟

الذي يهمنا في هذا الجزء من الدراسة، هو أن بعض الحضارات ظهر منها دين. فالحضارات، وهي تعبير عن الوجدان البشري، كانت تتحدث عن دين وإله. ولعل التاريخ قبل إبراهيم يرينا هذه الصورة. وعندما جاء إبراهيم جاءت الدعوة الإلهية لإيمان جديد.

(٥) الحضارة ظاهرة إنسانية، اتصالية وتنظيمية

الحضارة ظاهرة إنسانية. تهتم الحضارة لا بذاتها، بل بما تعمله للبشر. هناك أناس يعيشون ويتعبدون ويعملون. والحضارة هي ما يشكل الناس في سلوكهم، ويعطي معنى لحياتهم[٥٢].

توصف الحضارة بأنها شبكة اتصالات المجتمع، والنمو التاريخي له[٥٣]. فهي ظاهرة سيكولوجية بيولوجية تاريخية سوسيولوجية تطورية[٥٤].

الحضارة متغيرة، وعلاقة الإنسان بها قد تتغير أيضاً. ويمكن للإنسان

(٥٢) Duraisingh. op. cit. p. 360
(٥٣) Luzbebak. op. cit., p. 74
(٥٤) Ibid.

أن ينتمي إلى أكثر من حضارة، أو أن يترك حضارة وينتمي إلى أخرى. هناك حضارات مهددة بالإنحلال بسبب ظروف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية[٥٥]. وهناك حضارات تندمج معاً، فتذوب واحدة في الأخرى.

ومع ذلك قد يستريح شخص إلى حضارة ما، ولا يستريح إلى حضارة أخرى[٥٦]. فأنت تجد شخصاً من صعيد مصر، يذهب لأوروبا للدراسة، ويعود وطريقته في معيشته وأسلوب أكله وتصرفاته لم تتغير. وامرأة تعودت لبس حجاب قد لا تقدر أن تستغنى عنه.

وهناك صورة أخرى لمن له القدرة على التكيف مع المجتمع والحضارة التي يتعامل معها. فهذا شخص نشأ في بيئة محافظة جداً، ولكنه ذهب للدراسة في أوروبا، وعاد متغيراً تغيراً شاملاً. وهذه فتاة تلبس الحجاب، لكنك تراها على الشاطيء وقد لبست المايوه ونزلت تستحم.

ونحن لا يجوز لنا الحكم على أحد. فلكل إنسان شخصيته وقدرته على التكيف، واختباراته الشخصية التي تتحكم في بناء ذاته، وتصرفاته.

كل الحضارات المعاصرة واجهت هزات بسبب التحديث[٥٧]. لكن شدة الهزات ومداها تتنوع بين حضارة وأخرى. والإنسان يختبر حضارة ما في

(٥٥) WARC. op. cit. p. 134
(٥٦) Luzbebak. op. cit., p. 184
(٥٧) Tesfai, op. cit., p. 18

موقع العمل قد تختلف عن حضارة أسرته. وفي مواجهة حضارة الآخر، قد يتمسك الإنسان بحضارته أو قد يكون مستعداً للتغيير والتكيف، غير أن احتكاك الحضارات قد يقود إلي الثراء الفكري.

ثانياً:

ما هو الإنجيل؟

تتعدد المفاهيم عن الإنجيل، وما هو المقصود به. ولعله جدير بالذكر أن الرسل أعلنوا الإنجيل في نطاق واسع في الامبراطورية الرومانية في عصرهم، ولم يكن العهد الجديد قد اكتملت كتابته بعد. من هذا يتضح أن الإنجيل المكتوب لم يصبح جزءاً بعد من الكتاب المقدس. بل إن الكتاب المقدس آنذاك يتحدث عن الإنجيل، ويعلنه.

فقد سجل الكتاب المقدس الأحداث عبر التاريخ، معلناً أسلوب معاملة الله للبشرية، وتجاوب البشرية معه. وفي هذا السجل إعلان لتجسد الله على الأرض في شخص يسوع المسيح. والكتاب المقدس، سجل موحى به من الله، كتبه البشر الذين تم اختيارهم من روح الله، بلغة البشر.

فنحن نفهم أن روح الله يوحي بالفكر، وأن الإنسان يكتب بلغته. فليس لله لغة واحدة، ولا يرتبط بمجتمع واحد. فلو أدركنا الله غير ذلك، ما كان هذا هو الإله الذي خلق العالم كله، ويحكم البشرية كلها. ولو اهتم الله بالمكتوب فحسب لكان المسيح سجل كتاباً بنفسه.

لهذا جاءت لغة الإنجيل بأسلوب وحضارة عصرها، وما كان ممكناً غير ذلك. فكيف يتحدث الله إلى شعب بلغة لا يفهمها، وفي موضوعات غير موضوعات الحياة التي يعيشونها. واستمرارية الوحي من الماضي للحاضر والمستقبل، ترتبط بالمعنى والمضمون. لذا كان الكتاب المقدس عرضة

للدراسة والبحث من خلال فكر علمي ولاهوتي. يكتشف المعاني ويطبقها على العصر الحاضر والمقبل.

فما هو الإنجيل؟

فالإنجيل هو الكلمة المتجسد، شخص المسيح يسوع. فالكلمة صار جسداً، هذا هو لب الإنجيل(٥٨). هو الإنجيل الذي قدمه الرسل للعالم قبل أن يكتمل تسجيل العهد الجديد. وهو الإنجيل الذي سجله متى ومرقس ولوقا ويوحنا، كل منهم كتب لحضارة معينة، ولمجتمع معين.

هذا الإنجيل هو تكميل الشريعة التي جاءت في العهد القديم. فقد جاء السيد المسيح لا لينقض بل ليكمل (متى ٥: ١٧). ولم يكن الإكمال بشرائع جديدة، ولا بقوانين ونظم جديدة، بل كان الإكمال في شخصه. وبذلك تحررنا من شرائع العهد القديم ونظمه، إلى حرية مجد أولاد الله. فكل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد وبنات الله، أي المؤمنون والمؤمنات باسمه (يوحنا ١: ١٢).

فالإنجيل -كما نفهمه- هو ما عمله الله الآب من أجل البشرية والخليقة في يسوع المسيح. فقد جاء للعالم، تعبيراً عن حب الله له، وقدم نفسه فداء عن الخليقة لإنقاذها.

---

(٥٨) Ariarajah. op. cit., p.vii

فالمسيحية هي شخص المسيح، والإيمان بالمسيحية هو الإيمان بالمسيح رباً ومخلصاً وفادياً. وهو ما جاء عنه بإشعياء النبي: "صوت صارخ في البرية، أعدوا طريق الرب، قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاءٍ يرتفع، وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوّج مستقيماً، والعراقيب سهلاً. فيُعلن مجد الرب، ويراه كل بشر جميعاً، لأن فم الرب تكلم" (إشعياء ٤٠:٣-٥).

ليست المسيحية مجموعة شرائع ونواهٍ، وليست مجموعة نظم وفرائض، سواء للعبادة أو غيرها، لكنها شخص المسيح. وإن وجدت فرائض فهي لتوحيد الجماعة، وإن وجدت نظم فهي لتنسيق العبادة. لكن المسيحية ليست هي الفرائض والنظم. فالفرائض والنظم تتنوع في استخدامها وممارستها من مجتمع إلى مجتمع، ومن حضارة إلى حضارة. لكن شخص المسيح، شخص واحد، للجميع.

وأنا أرى نفسي مسيحياً، لأنني أؤمن بما فعله الله في يسوع المسيح من أجلي. فلست مسيحيا لأني أمارس فرائض معينة أو طقوساً محددة، لكن مسيحيتي ترتبط بشخص، في حياته ومماته وقيامته، كان -ولا يزال يعيش فيّ- نموذجاً صادقاً لما فعله الله من أجلي.

هذا هو الإنجيل، الذي يحمله الآلاف -بل والملايين- حول العالم، يعلنونه لإنقاذ البشرية. بل هذا هو الإنجيل الذي يعلنه رسل المسيح

وأتباعه- في كل المسكونة- مُعاشاً في مجتمعاتهم وحياتهم. رسالة مفرحة للبشرية كلها.

الإنجيل في شخصية المسيح

اتجهت أفكار عديدين من اللاهوتيين للتركيز على صفة معينة، أو جانب معين من حياة السيد المسيح. فهناك من اهتموا بعنصر المحبة في المسيح، وهناك من ركزوا على الطاعة أساساً لشخصية المسيح، وآخرون ركزوا على تواضع المسيح.

فمسيح العهد الجديد هو داعية المحبة، باعتبارها أعظم الفضائل، ومفتاح السلوك الأخلاقي[٥٩]. فقد دعا المسيح إلى محبة القريب، ومحبة العدو. فمحبة القريب على مستوى محبة الذات والنفس. ومحبة الله والقريب يتواجدان على مستوى واحد عند المسيح، مما يدفع لتقديس الخليقة والإنسانية[٦٠].

قال يوحنا: "أيها الأحباء، إن كان الله قد أحبنا، هكذا ينبغي لنا أيضاً أن يحب بعضنا بعضاً" (يوحنا الأولى ٤: ١١). وقال أيضاً: "إن قال أحد إني أحب الله، وأبغض أخاه، فهو كاذب. لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره" (يوحنا الأولى ٤: ٢٠).

(٥٩) Neibuhr, op. cit., p. 15

(٦٠) Ibid., p. 17

وقال أيضاً: "بهذا قد عرفنا المحبة، أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة" (يوحنا الأولى ٣:١٦).

فمحبة الإنسان لله، تمجيد له وشكر، ومحبة الإنسان للإنسان عطاء، وغفران[٦١]. ومحبة الإنسان لله وللإنسان هي تجاوب مع محبة الله للإنسان. قال يوحنا: "وهذه هي الشهادة، أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه. من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله، فليست له الحياة" (يوحنا الأولى ٥:١١، ١٢).

وقد ارتبطت محبة الله للإنسان، ومحبة الإنسان لله، بعنصر الأبوة. فالله أب، والناس إخوة وأخوات. ومن خلال هذه العلاقة، يحب الواحد الناس كما أحبه الله (يوحنا ١٣:٣٤).

وهناك من يرى أن طاعة المسيح هي مركز الأخلاقيات. فقد خضع المسيح لدعوته وأطاع[٦٢]. ويربط أصحاب هذا الفكر الطاعة في العهد الجديد بالطاعة في العهد القديم، فالطاعة في العهد القديم هي أساس الأخلاقيات[٦٣]. قال الرسول بولس في حديثه لأهل فيلبي: "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد،

(٦١) Ibid., p. 18
(٦٢) Ibid., p. 22
(٦٣) Ibid.,

صائراً في شبه الناس. وإذ وجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت -موت الصليب" (فيلبي ٢: ٥-٨).

والطاعة لا تتحقق دون إيمان وحب، إيمان بالله، وحب للناس[٦٤]. فالطاعة توجه صاحبها إلى الارتباط الواحد بشخص الله الذي تنبع منه القيم السلوكية الحميدة التي ترتبط بالإيمان بالمسيح، والاهتمام بالآخرين.

ويرى آخرون أن مركز الفكر في المسيح يرتبط بتواضعه. فقد عاش مع الخطاة، دخل بيوتهم وتعامل معهم. كان تواضعه مع تلاميذه نموذجاً للمعلم الفاضل، الذي يخدم. فقد رأى أنه بينهم كمن يخدم، دون أن ينتظر الخدمة منهم. بل إن شخص المسيح، كما يرينا إياه الرسول بولس، هو ذا الذي أخلى نفسه آخذاً صورة عبد. فكان تواضعه أمام الله والناس نموذجاً للتواضع الكريم[٦٥].

ومن خلال هذه المدارس الفكرية، نرى ارتباط الأفكار معاً. فالمحبة والتواضع والطاعة كلها ترتبط معاً. قال الرسول بولس: "إن الله كان في المسيح، مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة" (كورنثوس الثانية ٥: ١٩).

فالإنجيل "فِعْل" (action) لا مجرد شرائع وفرائض ووصايا. لكنه يرتبط

(٦٤) Ibid., p. 25

(٦٥) Ibid., p. 26

بشخص المسيح وما فعله، كمخلص للبشرية، ضحَّى بنفسه من أجل الخليقة.
ومن خلال خدمته وتضحيته، نرى محبته وتواضعه وطاعته.

والكتاب المقدس يسجل الفِعْل الذي حدث. فالإنجيل المكتوب سجل للإنجيل الحي. فلو كان الإنجيل مجرد عقائد ونظم لتحول إلى أيديولوچية. ولما كان الإنجيل فعلاً تحقق في شخص المسيح، ففاعلية الإنجيل تتم وتتحقق في البشرية اليوم، وكل يوم. قال بولس الرسول: "لأن المسيح لم يرسلني لأعمد، بل لأبشر، لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح. فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخَلَّصين فهي قوة الله" (كورنثوس الأولى ١:١٧-١٨).

الإنجيل في حياة الخليقة

ولما كان الإنجيل يعبر عن "فِعْل" تم في الخليقة، نتيجة تواجد المسيح على الأرض، فللفعل أثر عميق الجذور في الخليقة كلها. يحدثنا الرسول بولس من خلال رسالته إلى أهل رومية (٨:٢١-٢٤): "لأن الخليقة نفسها أيضاً، ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسناً أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني، فداء أجسادنا. لأننا بالرجاء خلصنا. ولكنَّ الرجاء المنظور ليس

رجاءً، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً".

يرسم الرسول بولس صورة الخليقة التي تئن بسبب دخول الخطية والشر إليها. والإنجيل هنا دعوة لتحرير الخليقة كلها. فالإنجيل -بالنسبة للخليقة- دعوة للحرية، لتسترد الخليقة كرامتها وذاتيتها، وليسترد البشر إنسانيتهم الحقيقية التي خلقهم الله عليها.

فالبشرية كانت تعاني يوم أن كتب الرسول بولس كتاباته. بل إن معاناة الخليقة تعود إلى يوم دخول الشر إليها، وتستمر اليوم وغداً. يدفعنا هذا لنتطلع إلى صورة عالم اليوم. فالعالم المعاصر يئن بسبب ما يعانيه من شرور وفساد في جوانب الحياة المتنوعة.

تشهد في عالم اليوم أولئك الذين يضعون المصالح الشخصية فوق الصالح العام. فلا قيمة عندهم للغير، لكنهم يبنون ذواتهم على حساب الآخرين. فهناك تجار المخدرات الذين يثرون، ولا يهمهم تدمير حياة الملايين من البشر. وهناك من يبني عمارة فلا يهتم منها سوى بمكسبه، حتى وإن سقطت العمارة على سكانها ومات العشرات. فالسعي للثروة بالوسائل غير الشريفة، صار اتجاهاً لدى كثيرين.

تسيطر على شعوب عديدة حكومات دكتاتورية شمولية، يتحكم فيها ويمارس السلطة قلة من الأفراد، يبنون ثروتهم وسلطتهم على حساب

الجماهير. فانتشر الفساد والبطش والقهر وسوء استغلال السلطة.

يسيطر على عالم اليوم أغنياؤه. فدول الشمال تلعب دوراً في السيطرة على دول الجنوب الأفقر. وحتى في دول الشمال أصبح أصحاب السيطرة أصحاب كبرى الشركات الدولية التي تمتلك رأس المال، والتي تدير العالم لصالحها، فهي -من خلال قدراتها للحصول على الربح- تصدر القرارات التي تؤثر على سكان العالم. ويعاني العالم اليوم من سوء توزيع الثروة، مما يزيد من غنى الأغنياء، ومن فقر الفقراء. كما يزيد الهوة بينهما.

ورغم الدعوة إلى الديمقراطية والمساواة بين البشر، فنحن نرى في بيئات عديدة حضارة الفقراء الذين يعانون. فكم من آلاف من البشر يموتون كل يوم جوعاً. وتقول إحصائية إن الجوعى في عالم اليوم يبلغون ١.٣ بليون إنسان من جملة سكان العالم ٥.٨ بليون.

والمرأة لا تحظى بمكانها بجوار الرجل. فالمساواة بين الرجال والنساء لم تتحقق في دول عديدة في العالم. ولاتزال بعض عادات إذلال المرأة تمارس في دول عديدة، منها ختان الإناث وغير ذلك. وهناك حضارات لا ترى المرأة كإنسان له حق الحياة والحرية والكرامة، فالمرأة عندهم وسيلة لمتعة الرجل.

وهناك مجتمعات تمارس عبودية الفقراء واستغلالهم لصالح الحكام أو

الأغنياء. وكم من مجتمعات تستعبد النساء والأطفال وتمارس إذلالهم لأهداف سياسية أو دينية. فالحضارات التي تشجع العنف والفساد والإذلال، حضارات تمارس أبشع الجرائم. ونحن نرى وسائل الابتزاز في المجتمع، والاغتصاب التي تحطم الكيان الإنساني والكرامة الإنسانية.

وللأسف الشديد، نشهد كل يوم وسائل استغلال الدين للمصالح الشخصي. فما تحدث عنه السيد المسيح في هيكل سليمان، وهو يشاهد التجارة في الهيكل باسم الدين، نشهده اليوم وكل يوم في أماكن عديدة في العالم. فكم من تجار المخدرات الذين يمارسون الدين الأصولي ويبتزون أموال الناس لصالحهم، ويحطمون المجتمع بتجارته الرخيصة. فهم يمارسون الدين المظهري ليخفوا وراءه فسادهم.

والأقليات في العالم تعاني. فهناك أقليات عرقية، وأقليات دينية لا تحظى بحقوقها الآدمية، كجماعات تعيش في مجتمعاتها. وحكومات البطش والقهر لا تفهم إعطاء الأقليات مكانها في المجتمع. فتعيش تلك الجماعة محرومة من حقوقها الإنسانية، تعاني من فقد الأمن والأمان.

وكما في عصر المسيح، هكذا في عصرنا، إذ تنتشر السطحية الدينية، التي لا تمارس جوهر الدين. فالفريسية التي واجهها السيد المسيح، تنتشر اليوم في كل مجتمعات العالم، ودياناته. فيمارس أولئك المتكبرون دينياً

وروحياً أساليب القهر لرجم الزواني، والإساءة للضعفاء، وتحقير الخطاة. وكان الأحرى بهم الرحمة بأولئك، ودعوتهم المتواضعة إلى التوبة الصادقة دون عقاب بالتشهير أو بالرجم أو بأساليب العقاب الوحشية.

ونسمع كثيراً عن جرائم عديدة تمارس في مجتمعاتنا، وانتشار الإيدز، والانحلال الأسري، وزيادة الأميين في العالم، وانتشار البطالة، وممارسة الظلم، والإساءة إلى إنسانية الإنسان.

نستمع بين الحين والآخر عن حروب إقليمية، وحروب على الحدود، وحروب أهلية، وقتال حول المياه الإقليمية، وقتال حول التطهير العرقي، وطرد لفئات حضارية، وإعدام لحضارات.

وقد انتشر الإرهاب في بقاع عديدة في العالم، نتيجة الجوع والظلم والحرمان، أو نتيجة الجشع وطلب المال الحرام، فمات آلاف الأبرياء دون وجه حق.

فمظاهر الشر الجماعية أو الشعوبية أو الفردية صورة مؤسفة لعالم اليوم. نتجت عن تربية الملايين من بني البشر في سيكلوچية الخوف. فنشأوا لا يحسون بكرامتهم الإنسانية، وفقدوا احترامهم لذواتهم كأبناء وبنات لله الذي خلقهم بكرامة، لكن العالم حرمهم منها.

بل الخليقة نفسها، تعاني من تلوث البيئة، وعوامل فساد الجو والأرض،

مما يضر بالإنسان والنبات والحيوان. فالخليقة كلها تئن: البشر، والطبيعة والبيئة. حتى الاختراعات الحديثة، التي كان من المفروض أنها تكون لصالح البشر، تستخدم استخدامات سيئة ضد البشر، وضد الطبيعة.

حدثنا يوحنا الإنجيلي أن الله أحب العالم. وكلمة العالم هنا (cosmos باليونانية) تعني الخليقة كلها. ويحدثنا بولس الرسول أن "الله كان في المسيح، مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة" (كورنثوس الثانية ٥:١٩). فقد دعا المسيح إلى تحويل العالم إلى ملكوت الله. وحدثنا الرسول بولس أن ملكوت الله هو "بر وسلام وفرح" (رومية ١٤:١٧). فروح الله يعمل في العالم أجمع ليحقق سيادة الله على الخليقة كلها. فلم يكن إنجيل المسيح لدولة معينة، ولا لشعب معين، لكنه للعالم بأسره. ليسترد الإنسان كرامته وإنسانيته التي خلقه الله عليها منذ البدء.

والإنجيل إعلان للمصالحة لكل ما على الأرض، وكل ما في الطبيعة (كولوسي ١ : ٢٠). فالإنجيل إعلان لتجديد البشرية والطبيعة، التجديد الذي يحدث كل يوم.

فالإنجيل هو إنجيل التحرير الشامل لكل الخليقة. وهو دعوة لتجديد الشعوب والمجتمعات والأفراد تجديداً شاملاً. ويتحقق التجديد من خلال

الإيمان الصادق بالله. فتنشأ مجتمعات جديدة يظهر فيها عمل المسيح وفعله العميق الأثر في حياة الجماهير والأفراد.

ثالثاً:

ديناميكية الإنجيل والحضارة بين القديم والجديد

علاقة المسيحية بالحضارة تثير أمامنا تساؤلات عديدة: فهل قبِل المسيح الحضارة، أم حاربها؟ وهل كان تعليم المسيح مسانداً لحضارة عصره أم كان هجوماً عليها؟ وهل طلب المسيح تثبيت الحضارة أم أراد تغييرها؟

تدفعنا هذه التساؤلات إلى أسئلة أخرى: فهل كان وجود المسيح تهديداً لحضارة عصره؟ هل رفض المسيح العالم؟ ما موقف المسيح من المادة؟ هل رآها شراً أم خيراً؟ إن كانت الحضارة تعتمد على الجهد البشري، فهل قبِل المسيح الجهد البشري؟ وهل اعتبره خيراً؟ أم طلب من الناس الاعتماد على الله فقط؟ وما هي العلاقة بين العالم والإيمان؟ وما هي العلاقة بين الإيمان والعقل؟

ولا شك أن هذا يثير تساؤلات معينة أخرى: فما هي العلاقة بين الكتاب المقدس والحضارة؟ ما هو مكان الحضارة في الوحي؟ وكيف نفسر النص الكتابي في ضوء الحضارة؟ وما معناه لنا اليوم؟ وما هي العلاقة بين الوحي والعقل.

ولعلنا ننتقل خطوة أخرى في تساؤلاتنا: فكيف نقدم الإنجيل في حضارات أخرى؟ وما هو مكان الكرازة في هذا العالم المتنوع الحضارات؟

نستعرض هذه الأسئلة ونحن في عصر المعلومات. فالتقدم العلمي

الضخم، وانتقال المعلومات عبر الشاشة الصغيرة بصورة هائلة سيرينا عصراً تتداخل فيه الحضارات وتؤثر على شعوب العالم بصورة لم يحدث لها نظير.

نظرة مختصرة إلى صراع الحضارات في العهد القديم

عاش شعب إسرائيل بداية حياته في مصر. وكانت الأرض التي عاش عليها أرضاً خصبة. تنبه المصريون لها بعد وقت، ولعلهم أرادوا استردادها. أراد شعب إسرائيل الهروب مقدماً. وكانوا يريدون الخروج من أرض مصر إلى أرض كنعان.

وفي البرية تسلَّم اليهود الوصايا العشر. وقد كانت الوصايا الثلاث الأولى تجمع الشعب نحو إله واحد، وترفض كل العبادات الأخرى. وكانت هذه هامة لهم بعد خروجهم من مصر في وقت عَبَدَ فيه المصريون آلهة متعددة، حتى جاء إخناتون الذي نادى بسمو إله واحد على جميع الآلهة. وجاءت الوصية الرابعة تخصص يوم السبت لعبادة هذا الإله الواحد. أما الوصايا الست الأخيرة فكانت وصايا أخلاقية تعبر عن قيم في علاقة الناس بعضهم ببعض، وتدفع شعب اليهود ليتحول إلى أمة متماسكة (خروج ٢٠). فالوصايا الست قيم اجتماعية خلقية ترتبط بمجتمع جديد

يتحرك في البرية.

وبعد تيهان في البرية، دخلوا أرض كنعان، وطردوا سكانها الأصليين. واعتبروا دخولهم لأرض كنعان تحقيقاً لوعد الله لهم، فهم شعب الله المختار. وبعد إقامتهم في الأرض الجديدة شهدوا صراعات عديدة بينهم وبين جيرانهم، وغير جيرانهم. وتتضح في العهد القديم صور الصراع بين حضارة اليهود وحضارة كنعان السابقة. ولم يرد في العهد القديم شيء عن معاناة الكنعانيين بسبب طردهم من بلادهم، وما لا قوه بسبب تشردهم.

بل إننا نشهد صراعات بين نسل سارة ونسل هاجر، بين نسل إسحق ونسل إسماعيل. نشهد صراعات حادة بين عشيرة عيسو وعشيرة يعقوب. لسنا نريد أن ندخل في هذه الدراسات فهي تحتاج لوقت طويل. لكن الإشارة المختصرة إليها هنا تعاون الدارس المدقق أن يعود إلى التاريخ في العهد القديم ليرى تفاصيل المواقف.

جاء موآب وبَنْ عَمّي (وهو أبو بني عمُون) من لوط وابنتيه (تكوين ١٩ : ٣٠- ٣٨). طرد العمونيون والموآبيون من شعب الرب، لأنهم استأجروا بلعام بن باعور ليلعن إسرائيل. ويتضح ذلك من سفر التثنية أنه لا عموني ولا مؤابي يدخلون شعب الرب إلى الجيل العاشر (التثنية ٢٣ : ١- ٤).

ونحن نشهد عبر العهد القديم صراعات متواصلة بين هذا الشعب والشعوب المجاورة، صراعات سلطة، وصراعات حضارات. وفي كل حالة كانت تأخذ مدخلاً يختلف عن الحالة الأخرى.

فكان للعمالقة قصة مع إسرائيل. فقد رفضوا أن الشعب العائد يمر في أرضهم (صموئيل الأول ١٥:١-٣). بعد ذلك بنحو ثلاثمائة عام، قام شاول بحملة تطهير عِرقي لطرد العمالقة بسبب جدودهم السابقين وُجِّه إليه اللوم.[٦٦] (صموئيل الأول ١٥:١-٣٥).

ورغم أن سفر التثنية أراد تصحيح هذه المواقف عندما طالب بمعاملة الغريب كأهل البلد، ليذكر إسرائيل أنهم كانوا غرباء في مصر (تثنية ٢٤:١٧ , ١٨)، لكننا نشهد التناقض، فهذا لم يتحقق مع الموآبيين والعمونيين (تثنية ٢٣:٣-٦)[٦٧].

فإن كان الله قد اختار إسرائيل، فهو لا يميزهم عن الفلسطينيين والأحباش والسوريين (عاموس ٢:٣). فالله لا ينحاز لشعب ما ضد شعب آخر، فكل الشعوب خليقته[٦٨]. والواقع أن الله مالك الأرض كلها. وإسرائيل لم يكونوا شعباً، فيصيِّرهم الله أمّة. وكانوا يحمدون الله الذي حوّلهم من

---

(٦٦) Carr. a chapter in Duraisingh's book p. IX

(٦٧) Ibid.,

(٦٨) Ibid., p. 16

جماعة مهمَّشة إلى أن صاروا أمة[٦٩].

وداود الملك أخذ صهيون من اليبوسيين (صموئيل الثاني ٥:٦-٨)، ودعاهم العرج والعمي. ثم منع العرج والعمي من دخول صهيون[٧٠]. فالذين رفضهم داود بقرار ملكي، دعاهم المسيح إليه، ودعاهم إلى وليمته (متى ٢١:١٤-١٦). وهل كان المسيح يتحدث عن أمثال أولئك عندما قال: طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض؟ والمقصود بالودعاء الذين لا قوة لهم. كما أن المقصود بالأرض land وليس earth[٧١]. فهل كانت التطويبة دعوة لرد الأرض لمن سلبت منهم؟ فبعد تهميشهم تعود لهم الحياة والذاتية[٧٢].

وفي العهد القديم نموذج لراعوث الموآبية التي أقامت -بعد موت رجلها- مع نُعمي، وقبلت إله إسرائيل إلهاً لها. كما يرينا أن أليمالك عندما ذهب إلى موآب أثناء المجاعة، رحبوا به. وقد تزوج ابنا أليمالك موآبيتين[٧٣]، كانت راعوث زوجة لأحدهما.

وجدير بالذكر أنه في سلسلة أنساب المسيح التي وردت في الفصل الأول من إنجيل متى جاء ذكر شخصيات كانت اليهودية تطردها من

(٦٩) Ibid., p. 18

(٧٠) Ibid., p. 21

(٧١) Ibid., p. 20

(٧٢) Ibid., p. 21

(٧٣) Ibid., p. 14

مجتمعها. فقد ذكر اسم سليمان، وهو مولود من علاقة صنعها بأسلوب غير كريم (متى ١:٦). وجاء ذكر بوعز من راحاب الزانية[٧٤]. فلم يرفض المسيح من اعتبرهم المجتمع اليهودي ضالين كالزواني والعشارين. فلقد قبل الكل، وجاء من أجلهم[٧٥].

يسوع والحضارة اليهودية

جاء يسوع يهودياً، واستمر يهودياً كل حياته[٧٦]. اختتن حسب الشريعة اليهودية. حضر المجامع اليهودية. تمم مطالب الشريعة بكاملها. وكان مرتبطاً بالحضارة اليهودية -دون شك- من الجانب الإنساني[٧٧].

اليهودية دين ودولة. ففي اليهودية مشتمل كامل لأمة مؤسسة على نظام ديني[٧٨]. والقيم التي نراها في العهد القديم. كثير منها مرتبط بالحياة القومية والمجتمعية لشعب اليهود.

كانت تعاليم المسيح في أساسها ثورة على النظم والقيم اليهودية. فقد حاول تجديدها، وتجديد المفاهيم التي دارت حولها. كما حاول بناء قيم جديدة. لم ينشيء المسيح ديناً جديداً، ولم ينشيء كنيسة، لكنه وضع

(٧٤) Ibid., p. 17
(٧٥) Ibid., p. 18
(٧٦) Neiblhur, op. cit., p. 2
(٧٧) Ibid., p. 3
(٧٨) Ibid.,

أسس الدين الجديد ومباديء الكنيسة. فالواضح أن المسيحيين أخذوا هذا اللقب لأنفسهم -أولاً- في أنطاكية. نتج ذلك عن حلول الروح القدس في يوم الخمسين، الذي دفع الكنيسة أن تستقل بذاتها ، وأن تبدأ طريقاً جديداً متميزاً.

رفض اليهود المسيح. فقد جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله. فإن كانت الأمة اليهودية قد رفضته، لكن كثيرين من اليهود آمنوا به وتبعوه. فالمسيح بالنسبة لهم، آخر الأنبياء، فالمدعو هو "المسيا".

وفي بدء المسيحية حدثت في المجتمع موجات كبرى لتجديد اليهود. ولما كانت اليهودية إيماناً وجنساً (شعب). فالذين آمنوا بالمسيح دخلوا المسيحية، فانفصلوا عن اليهودية ديناً وشعباً. وفي نفس الوقت آمن كثيرون من الأمم (غير اليهود) بالمسيح. ولما كانت ديانات أولئك تربطهم بشعوبهم، فقد انفصلوا أيضاً عن شعوبهم.

وبذلك تكونت المسيحية من مجتمع جديد من أشخاص غير مرتبطين لا بمكان ولا بأمة ولا بشعب ولا بلغة. فلم يكن للمسيحية منذ بدئها أمة. فإن كانت المسيحية قد ولدت في مجتمع اليهود ، لكنها لم ترتبط به ولا بغيره. فالمسيحية دين للعالم أجمع، ورسالة المسيح للمسكونة كلها. كما أن رسالة المسيح لم تكن لعصر بذاته، بل كانت لكل العصور.

وكلما دخلت المسيحية مجتمعا ما، ارتبطت بحضارته. فلم تظهر يوماً ما حضارة مسيحية متميزة عن حضارة الشعب الذي تعاملت معه. ففي الغرب تواجدت المسيحية مع الحضارة الغربية، وفي الشرق تعاملت مع حضارات شعوبه، وهكذا.

فإن كانت المسيحية قد ولدت في أحضان مجتمع فلسطين، فقد تفاعلت منذ ظهورها مع الحضارة الرومانية الإغريقية(٧٩). كما اختلطت بالحضارات السامية وغيرها. وفي مجمع نيقية تفادت المسيحية الحضارة الهللينية (الإغريقية القديمة)(٨٠). وفي نهاية القرن الثالث الميلادي أثرت المسيحية على حضارة البحر المتوسط تأثيراً شديداً(٨١). كان ذلك بعد تجديد قسطنطين. والكنيسة اليوم في إفريقيا إفريقية، وفي آسيا أسيوية، وفي أمريكا اللاتينية ترتبط بحضارة شعوبها، وهكذا.. ويشرح الرسول بولس هذا الموقف بأن المسيح نقض حائط السياج المتوسط بين الحضارات المتعددة، فأصبحت المسيحية مع الحضارة بالمسكونية(٨٢) (أفسس ٢:١٤). وبذلك كان موت المسيح هو الحدث الذي فتح الباب بين حضارات اليهود وحضارات العالم، ورحب بالتعددية في المجتمع الدولي(٨٣).

---

(٧٩) Geffre . a chapter in Tesfai's book. p. 20

(٨٠) Ibid., p. 23

(٨١) Ibid.,

(٨٢) Ibid., p.25

(٨٣) Ibid., p. 26

لا شك أن المسيحية أثرت الحضارات التي دخلتها. فالكلمة صار جسداً، لم تشر هنا إلى أي أمة أو حضارة. فالمسيح للعالم أجمع. والإنجيل، إنجيل حياة، يجمع المتفرقين إلى واحد (يوحنا ١١:٥٢).

إلاّ أن المسيحية واجهت في بدء عهدها صراعاً في التمييز بينها وبين الحضارة اليهودية. فعندما دخل غير اليهود "الأمم" إلى المسيحية كان لابد من فصل الحضارتين، لتكون المسيحية عند اليهود مرتبطة بالحضارة اليهودية، وعند الأمم مرتبطة بحضارة شعوبها. وهنا حدث خلاف بين المسيحيين الذين كانوا يهوداً والمسيحيين من أصل أممي.

وهنا رفضت المسيحية الختان، فتحدثت عن ختان القلب، وعن الرحمة بدلاً من الذبيحة وعن العدالة والرحمة دون تقديم ذبائح (هوشع ٦:٦، وميخا ٦:٦-٦) ورفضت المسيحية التحيز ضد أطعمة معينة، ورفضت الأطعمة المحرمة من اليهود. كما رفضت كل شرائع التطهير عند اليهود(٨٤). واهتم المسيح بأثقل الناموس. فلم يكن المسيح يرفض القوانين والنظم ما دامت العدالة والرحمة تتحققان(٨٥).

وسنأتي إلى دراسة تفصيلية عن ذلك في قصة كرنيليوس وبطرس وقصة مجمع أورشليم التي ندرسها في نهاية هذا الكتاب.

(٨٤) Carr., **op. cit.**, p. 15
(٨٥) Ibid., p. 19

رابعاً:

مدارس لاهوتية عن المسيح والحضارة

نستعرض هنا بعض المدارس اللاهوتية التي ظهرت في عصور المسيحية عن علاقة المسيح والحضارة. وهذه المدارس نستعرضها لكي نكتشف أساليب متعددة في التفكير خلال العشرين قرناً. ولا نحاول هنا تحليلها ودراستها، لكننا نكتفي بمجرد العرض. وسوف نناقش القضايا الفكرية النابعة من علاقة المسيح والحضارة بعد ذلك.

ويعتبر ريتشارد نيبور (Richard Neibhur) أفضل من قدم دراسة عن هذه المدارس في كتابه "المسيح والحضارة" (Christ and Culture). وهذا الفصل يعتبر تلخيصاً لما جاء في هذا الكتاب عن الموضوع.

وقد قسم نيبور الدراسة إلى أربعة أقسام:

(١) المسيح ضد الحضارة

(٢) المسيح والحضارة معاً

(٣) المسيح فوق الحضارة

(٤) المسيح يجري تغييرات في الحضارة

(١) المسيح ضد الحضارة

يعتبر ترتليانوس وليوتولستوي مع الموجودين زعماء هذه المدرسة-

فترتليانوس من كنيسة شمالي أفريقيا، تحدث عن نفسه كروماني. ظهر في القرن الثاني الميلادي. أما ليوتولستوي فروسي، ظهر في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

رفض بعض المسيحيين الأوائل الولاء للحضارة، ونادوا بالولاء لله وحده[٨٦]. رفضوا العالم فهو شرير، فالحضارة تهتم بالزمني والوقتي والعالم يمضي وشهوته. وقد جاء المسيح ليحطم أعمال الشر[٨٧]. نادى إكليمندس الإسكندري بأن المؤمنين شعب متميز اختاره الله[٨٨].

أما ترتليانوس فاعتبر المسيحية طريق منفصل عن الحضارة، والمسيحيون جنس ثالث بجوار اليهود والأمم[٨٩]. فالخطية تقيم في الحضارة ولا يجوز للمؤمن المساومة على الولاء للسيد. فيلزم رفض الحرب ورفض ممارسة السياسة[٩٠]. الزواج عنده شر نسبي. رفض الزواج الثاني[٩١].

ورفض ليوتولستوي الحضارة، ودعا للهروب منها. تمادى في ذلك أكثر من ترتليانوس. فالمسيح مشرّع[٩٢]. حاول تولستوي اختيار حياة الفقر لكن زوجته وأبناؤه رفضوا ذلك. رفض حماية البوليس، لكن أسرته

(٨٦) Neibhur, **op. cit.,** pp. 45-48

(٨٧) Ibid., p. 48

(٨٨) Ibid., p. 49

(٨٩) Ibid.,

(٩٠) Ibid., pp. 50-54

(٩١) Ibid., p. 74

(٩٢) Ibid., pp. 56-59

عارضته في ذلك، فأقام في عزبة زوجته الكونتيسة الكسندرا[٩٣]. رفض السياسة، واعتبر المجتمع المحيط وثنياً ونادى بحضارة مسيحية خاصة[٩٤]. واعتبر كل طلبات الدولة من ضرائب وخدمة عسكرية شر. سار في طريق ترتليانوس بأن وقف ضد الفلسفة والعلوم والفنون، رغم أنه كان فناناً. فحاول التمييز بين الفن الجيد والفن الرديء[٩٥].

اعتبر تولستوي أن الخطية متواجدة في الحضارة، فلم يفهم أن الحضارة في داخل الإنسان، جزء من كيانه[٩٦]. رفض عقيدة الثالوث[٩٧]. واعتبر أن الكنيسة من اختراع الشيطان، وأن أي مؤمن حقيقي يرفض أن يكون كاهناً أو قسيساً أو واعظاً. فالكنائس مؤسسات خائنة للمسيح[٩٨]. حوّل أقوال المسيح لتصبح قوانين وشرائع، فلا مكان للنعمة عنده[٩٩].

وهناك مدارس أخرى ادعت أن ثمة تناقضاً بين المسيح والحضارة. فالوجوديون (existentialists) فصلوا بين الله والإنسان، وبين النعمة والخطية[١٠٠]. إكليمندس الإسكندري وتوما الإكويني اعتبرا عقل الإنسان

---

(٩٣) Ibid., p. 75
(٩٤) Ibid., pp. 72,73
(٩٥) Ibid., pp. 72,73,60,61,63
(٩٦) Ibid., pp. 60,61,68
(٩٧) Ibid., p. 81
(٩٨) Ibid., p. 62
(٩٩) Ibid., p.64
(١٠٠) Ibid., p. 149

مظلماً. ولوثر نادى بأن الإنسان فاسد بطبيعته[١٠١]. هؤلاء الثنائيون فصلوا بين بر المسيح وبر الإنسان[١٠٢] والتوليفيون (synthesists) يرون أن الحضارة لها قيمة وتأثير، رغم وجود تناقض بين الروح والجسد[١٠٣]. فأوغسطينوس يمثل الثنائية أحياناً، وكذلك لوثر. أما الفيلسوف سورين كيركجارد فيرى أن المسيح متداخل مع الحضارة[١٠٤].

حاولت المدرسة الثنائية أن تفصل بين المسيح وقيصر، بين الوحي والعقل، وبين إرادة الله وإرادة الإنسان. اهتمت بالدعوة للسلام لا للحرب، كما اهتمت بتجديد الفرد دون الاهتمام بالإصلاح الاجتماعي[١٠٥].

والواقع أنه من المستحيل أن يفصل الإنسان نفسه عن المجتمع. كما لا يمكن فصل الوحي عن العقل. فالعقل يتضمن الوسائل والمحتوى المعرفي الموجود في الحضارة والمجتمع الحضاري. الوحي يتضمن المعرفة من الله، والواجب المسئول والمأخوذ من يسوع المسيح في المجتمع المسيحي[١٠٦].

(٢) المسيح والحضارة معاً

نادى بذلك أتباع الغنوسية (gnosticism) الذين ظهروا في القرن الثاني

(١٠١) Ibid., p. 152
(١٠٢) Ibid., pp.160,162
(١٠٣) Ibid., pp.165,166
(١٠٤) Ibid., pp. 171,173,178,-181
(١٠٥) Ibid., pp. 66,67
(١٠٦) Ibid., pp. 73,76

الميلادي، كما نادى نيكولاي برداييف (Nicolai Bardyaev) الروسي بنفس النظرية. فهم لا يرون تناقضاً بين المسيح والحضارة، ولا بين القوانين الاجتماعية والإنجيل، ولا بين أخلاقيات الخلاص وأخلاقيات المجتمع[١٠٧].

ظهر الغنوسيون في القرن الثاني الميلادي. فالمسيح بالنسبة لهم مركزي جداً. حاولوا المصالحة بين الإنجيل والفلسفة والعلم في عصرهم[١٠٨]. فالمسيحية عندهم معرفة ذكية تسمو على كونها عقيدة، لتزيد جاذبيتها وقوتها[١٠٩] فلا مانع من الولاء لقيصر، ولا مانع من الاشتراك في الحرب.

ويعتبر نيكولاي برداييف أنه مسيحي غنوسي[١١٠]. وهو يعتبر أن القيمة الخُلُقية مرتبطة بالحضارة وليس بتعليم المسيح. والمسيحية دين وليست كنيسة. والمسيح ليس سيداً على الحياة[١١١].

ظهرت مدارس فكرية مشابهة في القرون الوسطى. تدعو إلى أن المسيحية دين الحضارة. كما ظهرت مدارس أخرى في القرن التاسع عشر، مثل مدرسة الفيلسوف سورين كيركجارد[١١٢].

هذه مدرسة متطرفة متحررة، ترفض الانسحاب من المجتمع، وتشوه

---

(١٠٧) Ibid., p. 83
(١٠٨) Ibid., p.86
(١٠٩) Ibid., p. 87
(١١٠) Ibid.,
(١١١) Ibid., p. 88
(١١٢) Ibid., pp. 93,94

صورة المسيح[113].

(٣) المسيح فوق الحضارة

هذه مدرسة إكليمندس الإسكندري عام ٢٠٠م، وتوما الإكويني، وهو راهب كاثوليكي اتبع مدرسة أرسطو.

تنادي هذه المدرسة بأن الآب خالق العالم، وقد اشترك المسيح معه في الخلق. فالله صانع الحضارة والمسيح شريك فيها[114]. فالمسيح إله وإنسان، والحضارة تنتمي إلى العقل والوحي. فما لقيصر لقيصر وما لله لله. والمسيح يدعو لمجتمع العدالة[115].

تحدث إكلميندس الإسكندري عن الأكل والشرب والزينة ولبس الأحذية، واستخدام الحمامات العامة، والعلاقات الجنسية، والمشي والضحك والاعتدال، وضبط النفس، وعدم التحدث أثناء الأكل. علم الفلسفة والعلوم والإتيكيت المعروف في عصره. واعتبر المسيح المثال والقدوة للحضارة[116].

أما توما الإكويني فهو من أكبر من قاموا بالتوفيق بين تلك التعاليم (synthesists). وقد قبله كثيرون من البروتستانت. فالمسيحي في فكره-

---

(١١٣) Ibid., p.101

(١١٤) Ibid., pp. 117,118

(١١٥) Ibid., pp. 120-122

(١١٦) Ibid., pp. 125-127

فوق الحضارة، والكنيسة حامية للحضارة وربط بين الفلسفة واللاهوت، الدولة والكنيسة، الكاتدرائية والشارع(١١٧).

توما الإكويني اتجاهاته أرسطية. نادى بأن الصلاح يتحقق من خلال جهد بشري. دعا لضبط النفس والشجاعة والعدل. واعتبر الإنسان مسئولاً عن تكوين عادات حسنة(١١٨). وهو يرى أن الحضارة عمل العقل، العقل عطية الله(١١٩). والكنيسة مؤسسة مزدوجة، إلهية، وهي في العالم(١٢٠).

(٤) المسيح يُجري تغييرات في الحضارة

مدرسة القديس أوغسطينوس وكثير من البروتستانت. فالخلق عمل الله والخطية عمل الإنسان(١٢١). والتاريخ هو علاقة الله بأعماله العظيمة وتجاوب الإنسان معه.. والحياة الأبدية تبدأ الآن. الشخص المؤيد للتغيير يرى الحفاظ على ما أعطاه الله(١٢٢).

وهذه المدرسة ترى أن المادة ليست شراً، والجسد ليس شراً،. فقد أحب الله العالم، وهذا الحب يشمل الإنسان(١٢٣). والخليقة جيدة. جاء الابن

---

(١١٧) Ibid., p.129
(١١٨) Ibid., p. 133
(١١٩) Ibid., p. 135
(١٢٠) Ibid., p. 136
(١٢١) Ibid., p.194
(١٢٢) Ibid., p. 195
(١٢٣) Ibid., p.197

ليعطي حياة للعالم(١٢٤).

تعتمد هذه المدرسة على يوحنا الإنجيلي. فهو مسكوني (Universatistic)، يرى أن الله يغير العالم، ويرفع خطيته. والحياة الروحية عنده حياة حضارية(١٢٥). وأوغسطينوس يرى أهمية تجديد الحضارة، فالمسيح مجدد لها(١٢٦). وهو يرى أن الخليقة صالحة. حتى الشيطان لم يكن شريراً، وتحول للشر. وقد جاء المسيح يجدد ما أفسدته الخطية(١٢٧).

كلفن قريب من أوغسطينوس، يؤيد التغيير، فيرى دور الإنجيل في تغيير الحياة(١٢٨). وچون وسلي يتبع نفس المدرسة(١٢٩). وكذلك يوناثان إدوارد(١٣٠). وف. د. موريس (F.d. Maurice) يرى أن الله رب البشرية كلها. نادى بتحويل مركزية الإنسان من الذات إلى المسيح. تعامل مع النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية(١٣١).

---

(١٢٤) Ibid., p. 198
(١٢٥) Ibid., pp.204,205
(١٢٦) Ibid., p. 208
(١٢٧) Ibid., p. 212
(١٢٨) Ibid., p.217
(١٢٩) Ibid., p. 218
(١٣٠) Ibid., p.220
(١٣١) Ibid., pp. 220-227

خامساً:

قضايا لاهوتية عن المسيح والحضارة

رأينا مما سبق أن الحضارة هي ذات المجتمع. فهي متواجدة داخل الإنسان وفي أعماقه. لا تقدر أن تفصل الحضارة عن المجتمع، ولا عن الإنسان، ولا تقدر أن تفصل الإنسان عن الحضارة. لا يمكن التغاضي عن الحضارة أو الإقلال من قدرها. فالحضارة هي ذاتية المجتمع، والتي تميز بين مجتمع وآخر.

فالحضارة تشكل الحياة البشرية في كل ما تشمله. والحضارات تتنوع بتنوع البيئات والمجتمعات. ليس لنا إلاّ أن نحترم الحضارات، رغم أننا قد ننتقدها، ونرفض بعض محتواها.

والحضارات تقسم العالم إلى دول وشعوب وجماعات. وهناك دول وشعوب وجماعات أغلقت على نفسها في حضاراتها. وهناك دول قدَّست حضاراتها، فلغتها مقدسة أو مواصفات حضاراتها مقدسة. فتديين الحضارة أضر بمجتمعات عديدة. فليست هناك لغة مقدسة، وليست هناك حضارة مقدسة. فتقديس الحضارة يجمدها ويحرمها التقدم. وتديين الممارسات الحضارية يضر بالدين.

ولما كان الدين كالحضارة، كل منهما يصنع قيماً للمجتمع، فقد امتد الصراع بينهما في فكر البشر. فما هي القيم الدينية الثابتة التي ترتبط بالدين– أما القيم المجتمعية التي ترتبط بالحضارة، فهي غير ثابتة وتتغير

حسب العصر والجماعة.

ونحن نطرق هنا موضوعات وقضايا لاهوتية وفكرية ترتبط بعلاقة الإنجيل والحضارة.

(١) الله والحضارة

خلق الله العالم ووضع نظام الكون. ثم خلق الإنسان على صورته. فالبشرية تشترك في جمال وحق الوجود الإلهي[١٣٢]. فالله ملك، ومالك الخليقة بكل ما فيها. فقد "صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض" (أعمال الرسل ١٧:٢٦). فالله أعظم من البشر ومن كل شيء، لأن الله هو خالقها.

قصة برج بابل ترينا تعدد اللغات والحضارات، ومن ثم تتنوع وتتعدد النظم الحكومية والشعبية والبيئات. فالتنوع كان ضمن نظام العالم الأصيل. كما أن تقدم العلم والتكنولوچيا قصد إلهي في الخليقة لتطويرها وتنميتها.

ونرى أيضاً في يوم الخمسين (أعمال الرسل ٢) نموذجاً آخر لتعدد اللغات والجنسيات والشعوب: فالتعددية قصد إلهي في الخليقة.

لا نقدر أن نفصل بين الله والحضارة، ولا نقدر أن نتصور أن في العالم

(١٣٢) Ariarajah. op. cit., p. 6

جزراً بعيدة عن الله. فالله متواجد في الحضارات. لكن الحضارات تكونت من خلال الجهد البشري، وظهر فيها ما هو صواب وما هو خطأ. دخلت الخطية إلى العالم بإرادة بشرية، ومن خلال ذلك تواجد الصراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر.

وللتجسد معناه الهام والأصيل. فالتجسد يعني أن الله لم يرد أن يكون بعيداً عن البشر وعن العالم. فجاء إلى العالم ليتواجد مع البشر ويعيش معهم. ولعل هذا هو المعنى الأصيل للاسم "عمانوئيل" أي الله معنا. ومعية الله هنا ترينا مشاركته لنا في الجسد، وفي الحضارة. منها نرى مشاركته الفعالة للبشرية في كل حياتها العامة والخاصة.

عاش المسيح ومات، لأجل كل الناس دون تفرقة. تمزق جسده على خشبة الصليب لكي ينشر إطارات جديدة عبر الدول والشعوب والثقافات والحضارات. وفي حياته رحب باليهود وغير اليهود دون تفرقة، أعطى مكاناً للنساء مع الرجال. قَبِلَ المرأة الخاطئة التي جاءت إليه (لوقا ٧) كما قَبِلَ اليهود الذين رحبوا به.

وعلى مائدة العشاء الأخير قال المسيح: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم (لوقا ٢٢:١٩). وفي قوله هذا جمع البشرية كلها في ذاته. وكانت قيامته من الأموات حدثاً جمع التلاميذ الذين عاشوا في خوف وقلق،

حيث ملأ قلوبهم بالرجاء والشجاعة والإيمان والقوة ودفعهم إلى حياة العمل بطموح عظيم.

ثم جاء حلول الروح القدس، فكان حدثاً يجمع البشرية كلها، بكل حضاراتها ولغاتها إلى فكر واحد، ورسالة واحدة. فإن كانت بابل مشار الشقاق والتنوع والتعددية، فحدث يوم الخمسين كان نموذج الوحدة في تعدد. وكانت الوحدة هنا تضم الجميع دون تفرقة: اليهود وغير اليهود، كل شعوب العالم معاً، الرجال والنساء والأطفال.

ولشرور الطبيعة مكانها في الخليقة، ففي الأرض كثير من المحن والآلام والمعاناة. وحيثما وجدت الآلام والمعاناة يوجد الله. فالله لا يترك البشرية في آلامها، لكنه يصارع معها لتتحرر. فهدف تواجد الله مع البشر في حضاراتهم، تواجد الحرية والحياة. وقد صوّر لنا المسيح الله أباً للبشرية. فهو المحب، الذي أحبنا أولاً (يوحنا الأولى ٤:١٩). فالله هو الذي يرعى البشرية ويعتني بها.

فالإنجيل هو الخبر المفرح للبشرية. ففي يسوع المسيح إنقاذ البشرية من الشرور، ودعوة شاملة للرجاء الأكيد، وللحياة بكل ملئها. والإنجيل هنا ليس دعوة خيالية، بل واقعاً في حياة الناس، يعيش في حضاراتها، ويتفاعل معها، ليحرر البشرية إلى حياة سعيدة.

ترتبط علاقة الإنسان بالله من خلال الدين والإيمان. فالدين عطية الله للإنسان، والإنسان يأخذه من الله[١٣٣] وعلاقة الإنسان بالله، ليست إنسانية، لأنها تبدأ من الله[١٣٤]. يجوز أن يساند الدين الإنسان أو يعارض في موقف ما[١٣٥]. فإنه إلى جانب تكوين علاقة بين الإنسان وإلهه، فالدين يساعد في تكوين الإنسان الصالح في المجتمع[١٣٦].

المسيح شريك لله في الخلق، فكل الخليقة تمت من خلاله (كولوسي ١:١٦). نحن لا نعرف شكل المسيح، لكنه جاء في عالمنا. وتحاول كل بيئة أن تصور المسيح في حضارتها. فعلى سبيل المثال، في أفريقيا تصور المسيح إفريقياً، كما في إيطاليا تصوره إيطالياً وفي الصين صينياً. فالمسيح تراه كل حضارة من رؤيتها وثقافتها الخاصة. المسيح ليس هو الكنيسة، فالمسيح هو رأس الكنيسة (كورنثوس الأولى ١:١٨). الكنيسة هي جسد المسيح. فتجسد المسيح معناه أن الله معنا وفينا. يعيش معنا ويحس بنا، ويهتم بما نهتم به. فالحضارة الإنسانية -في بعض جوانبها- تعكس مجد الله[١٣٧].

وروح الله، منذ بدء الخليقة، يرف على وجه المياه (تكوين ١:٢). قال

(١٣٣) Tillich. **Theology of Culture** p. 4
(١٣٤) Ibid.
(١٣٥) Ibid., p. 5
(١٣٦) Ibid., p. 6
(١٣٧) Ariarajah. **op. cit.,** p. 6

كاتب المزمور (١٠٤: ٣٠): "ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض". "فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معاً إلى الآن" (رومية ٨: ٢٢). "لأن الخليقة نفسها أيضاً، ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" (رومية ٨: ٢١). فروح الله الذي أعطى الحياة لكل الخليقة يعاني معها للخلاص واسترداد الحياة. لهذا فهو يتداخل معهم، في معيشتهم وكفاحهم وآمالهم مما يعطي معنى لتاريخهم[١٣٨].

الريح تهب حيث تشاء (يوحنا ٣:٨)، هكذا الروح، فالروح يستخدم من يشاء، ويعمل في الخليقة ليحقق المقاصد والآمال. فهو يعمل في الكل، يبكت على خطية وعلى بر وعلى دينونة (يو ١٦:٨). يعمل روح الله في البشرية ليأتي بها في طاعة لله.

ويرينا يوم الخمسين صورة رائعة لروح الله، وهو يتحدث إلي كل جماعة في لغتها وحضارتها، فلا سلطان لأورشليم على شعوب أخرى. ولا سلطان لدولة على دولة أخرى. فالروح الواحد، يعمل في الجميع، يؤكد حضارات الشعوب، ويدعو لاحترام الواحد للآخر دون تفرقة. فقد جاء المسيح "ليصالح الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما في السماوات" (كولوسي ١: ٢٠).

فروح الله موجود في كل العالم يعمل اليوم وغداً وحتى اليوم الأخير.

(١٣٨) Duraisingh. op. cit. p. 360

(٢) ما مضمون "العالم" في أقوال المسيح

ماذا قصد المسيح عندما تحدث عن العالم؟ هل قصد السماء والأرض والنجوم والفضاء والطبيعة؟ أم قصد الحضارة الأرضية؟ أم قصد تصرفات البشر؟ لا شك أنه لم يقصد الطبيعة والفضاء. لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (يوحنا ٣:١٦). والعالم - كما وردت هنا- هي كلمة (cosmos) كوزموس، باليونانية (Kosmos) والتي تشمل الخليقة كلها وضمنها الإنسان.

لم يرفض المسيح "العالم" كمكان وكبشر. لكنه استخدم كلمة العالم كمضمون رمزي لسلطة الشر المتواجدة على الأرض. وبالتالي رفض أن تكون هذه السلطة بديلاً لله على الأرض. فلم يرفض المسيح الحضارة ذاتها، لكنه رفض بعض التقاليد والعادات والنظم الاجتماعية والقيم التي لا تتفق والإيمان. قبِل البعض ورفض البعض الآخر. ويمكننا أن نكتشف ذلك من أقواله وتصرفاته.

وهذه بعض أقوال السيد المسيح:

"فقال لهم أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم" (يوحنا ٨:٢٣).

"لا يقدر العالم أن يبغضكم، ولكنه يبغضني أنا، لأني أشهد أن أعماله شريرة" (يوحنا ٧:٧).

"إن كان العالم يبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم" (يوحنا ١٥:١٨).

"لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" (يوحنا الأولى ٢:١٥).

"أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك" (يوحنا ١٧:٢٥).

"نعلم أننا نحن من الله، والعالم كله قد وضع في الشرير" (يوحنا الأولى ٥:١٩).

"رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيَّ شيء" (يوحنا ١٤:٣٠).

"لأن كل من ولد من الله يغلب العالم. وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا" (يوحنا الأولى ٥:٤).

"من هو الذي يغلب العالم، إلاّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله" (يوحنا الأولى ٥:٥).

"لأني لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم" (يوحنا ١٢:٤٧).

"لست أسأل من أجل العالم (كل الناس)، بل من أجل الذين أعطيتني، لأنهم لك. ليسوا من العالم، كما أني لست من العالم" (يوحنا ١٧: ٩و١٦).

"نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه، فقال: هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يوحنا ١: ٢٩).

"الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجاً" (يوحنا ١٢: ٣١).

"إذ أخضعت الخليقة للبُطل، ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله" (رومية ٨: ٢٠و٢١).

"فقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" (متى ٢٢: ٢١).

من هذه الآيات نكتشف حقائق عديدة، نحاول أن نرى منها ما يأتي:

(١) خلق الله العالم كله، وإذا هو حسن جداً (تكوين ١: ٣١). ولكن هذا العالم قد وضع في الشرير. فالشر دخيل على العالم.

(٢) العالم المادي ليس شراً. فالله صانع المادة وخالقها. والمسيح لا يقصد العالم البيولوجي، بل قصد قوى الشر الموجودة في العالم.

(٣) الإنسان مخلوق بار. وحتى الشيطان خلق باراً. ولكن الشيطان تحول إلى قوة الشر. والخطية دخيلة على الإنسان.

(٤) ليس كل ما يعمله الإنسان شراً. فالإنسان هو صانع الحضارة، والتقدم العلمي. لكن الإنسان أيضاً يصنع الشر. ومتى سيطرت قوى الشر على الإنسان، كان الإنسان شريراً، ومتى تحرر منها كان باراً.

(٥) العالم أبغض المسيح، كما يبغض المؤمنين. فلا يقصد الحضارة. فالحضارة تعيش داخل الإنسان وتشمل كل كيانه. لكن قوى الشر الموجودة في العالم هي التي تبغض الإنسان الذي يرفضها.

(٦) خلق الله الإنسان حراً. فحرية الإنسان أمر جوهري. فكان للإنسان أن يطيع الله أو أن يرفض طاعته. نتج عن ذلك تواجد الشر في العالم. فإن كان الله لم يصنع الشر، لكنه بإعطائه الحرية للإنسان دخل الشر إلى العالم.

(٧) يمكننا التغلب على قوى الشر الموجودة في العالم بالإيمان وبذلك ننتصر عليها.

(٨) يتحدث المسيح عن نفسه أنه ليس من العالم، ويتحدث عن المؤمنين به أنهم ليسوا من العالم. لكن الكل في العالم. وعندما

جاء المسيح في الجسد تواجد في العالم، وفي نفس الوقت كرّم الجسد. فلم يكن حديث المسيح عن الحضارة الأرضية، بل عن قوى الشر الموجودة في العالم.

(٩) خلق الله العالم ولم يتنازل عنه لقوى الشر. فرئيس العالم يسيطر عليه حالياً. وقد قال المسيح إنه لم يأتِ ليدين، لكنه جاء ليحرر ويخلص وينقذ. فالمسيح هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم. والخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلي حرية مجد أولاد الله. وبذلك يسترد العالم براءته التي خلقه الله عليها.

(١٠) استخدم الرسول بولس كلمة "جسدي" كتعبير رمزي عن الطاقة الشريرة في الإنسان التي تقوده للشر، واستخدم في مقابلها كلمة "روحي" تعبيراً عن الطاقة التي تحب الخير في أعماق الإنسان. وكان استخدامه لكلمة "جسدي" مشابهاً لاستخدامه للعالم.

(١١) فسر بعض الناس الآيات عن "العالم" بأن المؤمن ينتمي إلى الوطن السماوي لا الأرضي. وهذا منطق غير معقول ولا مقبول. فالإنسان يقيم على الأرض، وهو في العالم. سيعيش في العالم حتى ينطلق منه. ولا يقدر إنسان أن ينكر انتماءه إلى الوطن الأرضي.

كما أن وجود وطن سماوي لا يعني إطلاقاً رفض الأرضي والاغتراب عنه. فالانتماء إلى الوطن الأرضي حق ومسئولية.

(١٢) العالم مقدس للرب. كل يوم هو يوم الرب، وكل عشاء هو عشاء الرب. هو أورشليم الجديدة، السماء الجديدة والأرض الجديدة التي يسكن فيها البر، كلها للرب.

(٣) كيف نفسر نصوص الوحي الإلهي في ضوء الحضارة؟

الكتاب المقدس كتبه أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس. فلم يكتب الله شيئاً إلاّ بيد البشر. فكتب القديسون ما أوصاه الله إليهم. وكان الروح القدس يؤمن على صحة المضمون في الكتابة. فالشاعر كتب شعراً، والقصّاص كتب رواية، والأديب كتب قطعة من أدب رفيع، والمؤرخ كتب تاريخاً.

وكانت الكتابة، في كل الأحوال، ترتبط بظروف وواقع. فكيف يتحدث الله إلى شعب خارج واقعهم. وكيف يتحدث الله إليهم سوى بلغتهم التي يفهمونها، وفي الحدود العلمية والاجتماعية والسياسية التي يعيشونها.

ولا شك أن الكاتب، وهو يكتب، كان مرتبطاً بثقافته وحضارته التي كان يعيشها. فأسلوب الكتابة، والتعبيرات التي يستخدمها كانت تعبيرات وليدة فكره وحضارته. معنى ذلك أن حديث الله للشعب كان يوضع في قالب لفظي من تعبيرات ترتبط بحضارة العصر. والمضمون هو الوحي الإلهي للشعب.

لكن الكتاب المقدس لم يكن لعصوره التاريخية فحسب، بل للعالم أجمع، ولكل العصور. فلم يكتب الوحي المقدس لعصر واحد. وإنجيل

المسيح رسالة لكل الخليقة في كل العصور. فكيف يمكن تحقيق ذلك.

وهنا يأتي دور التفسير. فالتفسير لكي يكون مطابقاً لكل عصر، وكل جيل، وكل بيئة، لابد أن يكون تفسيراً بيئياً قرينياً (Contextual). ومهمة التفسير القريني للنصوص مهمة نقل النص من حضارته إلي الحضارة الجديدة (Inculturation) وهو نوع من تجسيد (Incarnatian) المعنى والمضمون ليدخل في المجتمع المعاصر والبيئة الحاضرة. فترجمة النص في لغة البيئة التي كتب فيها، ونقله إلي البيئة المعاصرة، هي مهمة المفسر.

النص لا يتغير، لكن القرينة تتغير. فإن كان النص قد وضع في آنية خزفية قديمة، فلابد من نقله إلى آنية خزفية معاصرة. وكلما كانت كلمة الله مشروحة من خلال الحضارة التي قيلت فيها، كانت مفهومة بوضوح شامل.

ونحن نضع هنا بعض المباديء التي تعاون على شرح النص من خلال القرينة التي عاشها، لعلّها ترينا بعض النماذج التي تعاوننا على عدم حرفية التفسير التي قد تضلل الكثيرين.

(١) الكتاب المقدس هو المرجع الأوحد الذي يسجل علاقة الله بالبشرية، وعلاقة البشر به، وعلاقة الناس بعضهم ببعض. ومن خلال ذلك يرسي مفاهيم العبادة الصحيحة لله الواحد، كما يرسي قيم العلاقات

المجتمعية والبشرية.

(٢) لم يرد في الكتب المقدسة شيء عن الطائرة أو الكمبيوتر أو الصاروخ أو الدبابة. فهذه لم تتواجد في عصور كتابة النصوص المقدسة. فنحن اليوم نركب الطائرة رغم أنها غير موجودة في النص الكتابي، ولم يتحدث الله عنها. لكنها من اختراع البشر. ولا شك أن الله موافق ومساند لدور البشر في الاختراعات التي تخدم الخليقة والإنسانية. ومتى استخدم الإنسان هذه المخترعات ضد الإنسان كان الله غير راض على هذا الاستخدام.

(٣) عاش القدامى بنظام القبائل. نأخذ على سبيل المثال كيف عاش عيسو ويعقوب. فكل منهما رب لقبيلة ما. ونظم القبائل نظم متاحة لعصورهم. وعندما جاء نظام الدولة تغير الوضع. فحكم داود كملك على دولة أكثر نظاماً من القبائل. ثم ظهرت نظم الحكم الحديثة، وأساليب الحكم النيابية من خلال أسس ديمقراطية لم تكن معروفة في عصور كتابة الوحي. وهذا يجعلنا نستفيد من نظم الحكم العلمية المعاصرة دون رجوع لنظم قديمة.

(٤) كان هناك اهتمام خاص بالموت في عصور خلت، فكانت الأحزان عميقة وطويلة. فأوقات الناس في عصور قديمة كانت تسمح بذلك.

وقد أوصى كثيرون بالعناية بعظام أمواتهم. وكانت -في عصور معينة- هناك اهتمامات بتحنيط الجثث. وهذه لا تحظى اليوم بالعناية بهذا الأسلوب.

(٥) أخذت اليهودية نظماً من الحضارات المعاصرة لها. فقد أخذت من الديانة المصرية القديمة كثيراً من نظم الهيكل ونظام المباني. فقد تهذب موسى بكل حكمة المصريين. ولا شك أن قصد الله كان يساند موسى ليتعلم، ثم يمارس ويطبق. ونحن نقتبس اليوم من الحضارات المعاصرة ما يصلح لنا، ونرفض ما لا يصلح. كما أن بعض الممارسات الحضارية التي وردت في العهد القديم لا تصلح لنا اليوم. فلو أخذنا على سبيل المثال تحريم أكل أنواع من اللحوم كلحم الخنزير وغيره، هذه ارتبطت بحضارة قديمة، ولا تتفق مع حضارات اليوم. ونحن في عصر المعلومات تخترق الحضارات بعضها بعضاً، ولكل مجتمع أن يختار ما يريد من الحضارات الأخرى من نماذج السلوك والممارسة التي تناسبه.

(٦) هناك أحداث كانت ترتبط بمفاهيم العصر الذي وردت فيه. في عصور قديمة جداً، لم يفهم الناس ما يحدث في الولادة. فأحسوا بأن الولادة معجزة من الله. وكان النظام المتبع هو تقديم الأبكار ذبائح لله. لذا طلب الله من إبراهيم تقديم ابنه إسحق ذبيحة لله. لكننا

اليوم نفهم الولادة علمياً. والحضارات المعاصرة ترفض فكرة قتل إنسان. فلن يطلب الله اليوم من أحد أن يقدم ابنه ذبيحة. وتقديم الابن ذبيحة يعتبر في نظر مجتمع اليوم جريمة قتل!!

(٧) نحن لا نقبل اليوم ممارسات حضارات العنف قديماً. فرجم الزانية مرفوض كلية. وفي عصر المسيح رفض رجم الزانية. ولا نقبل اليوم شريعة مثل تحريم عماليق. كما لا نقبل طرد السكان الأصليين من مواقعهم ليحل شعب آخر محلهم، كما حدث مع إسرائيل قديماً عندما حلّ في أرض كنعان محل الكنعانيين.

ونحن بالتالي نرفض ممارسات في حضارات انتقلت إلينا من مجتمعات أخرى، رغم أنها غير مسجلة في الوحي، مثل ختان الإناث.

فألوان العقاب التي تمارس اليوم إنسانية في محتواها. وهناك دول رفضت تطبيق عقوبة الإعدام على القاتل، واكتفت بالسجن مدى الحياة. فأنواع العقاب التي يراها المجتمع المعاصر من خلال حضارة إنسانية، تختلف في ممارساتها كل الاختلاف عن أساليب بدائية قديمة.

بل إن نظم القضاء التي مورست في عصور خلت، كانت مناسبة لتلك العصور، حتى ظهرت نظم القضاء الحديثة، التي تحقق العدالة

بين البشر بأعلى المقاييس، بانية دراستها على أحدث السبل العلمية. ونحن نرحب بهذه النظم، فلا شك أن إرادة الله دفعت العقل البشري لتحقيقها.

(٨) كان الاتجاه قديماً هو تديين الحضارة. فكانت الحضارة في ارتباطها بالدين، تختلط به. فهناك مظاهر مجتمعية وصحية ارتبطت بالدين. وكان لابد لنا أن نعيد النظر في هذه الأمور كلها. فهناك أمور يحكم فيها الطبيب ولا يتدخل فيها الدين. والعلم الحديث كشف الكثير منها. وهناك أمور ينظمها المجتمع والعرف. وليس من المناسب أن يزج الدين بنفسه في مجالات لا دخل له بها.

فمن المناسب أن يترك الدين ما يتعلق بالطعام والشراب والصحة والملابس والإتيكيت للحضارة. فما تنظمه الحضارة تحكمه. وما يصدر الطب فيه أحكاماً، لابد أنها تكون نهائية.

نأخذ بعض النماذج والأمثلة:

نحن غير مطالبين بأن نلبس الجلباب لأن السيد المسيح ارتدى الجلباب. فتقدم الحضارة هو لخدمة الإنسان، وللإنسان أن يستفيد من ذلك. فلا قدسية للجلباب لمجرد أن المسيح كان يلبسه!

-ليلة الدخلة عند اليهود نظام قديم لإثبات عذراوية المرأة. وهو نظام لا نقبله اليوم من جانب صحي. علاوة على أنه مهانة لكرامة المرأة.

- غسيل الأيدي أمر صحي لا يرتبط بالدين. وكان المسيح قد رفض اعتباره مظهراً دينياً.

- غسيل الأرجل كان يرتبط بأن الناس في عصور سابقة كانوا يلبسون الصنادل في أرجلهم، وكانت تتسخ من تراب الأرض. والوضع اليوم يختلف عن ذلك.

- في بدايات العهد القديم مورست أعمال سحرية، وفي ضوء تقدم العلم لم تصبح هذه الممارسات مقبولة.

- المخنوق والدم اللذين حرما على المؤمنين في الكنيسة الأولى، أمر يختص بالصحة.

- عدم إنجاب نسل ليس لعنة، لكنه أمر يرتبط بظروف صحية.

- في العصور القديمة مارسوا تعدد الزوجات. وكان المجال مفتوحاً لوجود الجواري وزواج الجواري بهدف إنجاب نسل. وكلما تحضر المجتمع تحددت الزواجات برجل واحد وامرأة واحدة. ومفهوم العهد الجديد يوضح ذلك. فنحن لا نرتبط بمفهوم حضارة سابقة، ونقدر تطور الحضارة في عصرنا ونرى أنه يتفق مع مفاهيم القصد الإلهي للبشرية.

- في عصور قديمة، وحتى عصر الرسول بولس كانت حضارات العبيد

تغزو مواقع عديدة. ولكنها في ضوء تعليم العهد الجديد، وفي ضوء تطور المجتمع المعاصر، لا مكان لنظام العبودية.

- رسائل العهد الجديد كتبت لحضارات معينة، فهناك رسالة إلى رومية، وأخرى إلى كورنثوس، وثالثة إلى أفسس، وهكذا. وقد تنوعت المشكلات والقضايا الفكرية لكل بيئة. طلب بولس من المرأة في كورنثوس أن تغطي رأسها وهي تصلي، لكنه لم يطلب ذلك من المرأة في فيلبي. فقد كان يتعامل مع مجتمع له مشكلة معينة. وطلب من المرأة أن تتعلم في سكوت وخضوع (تيموثاوس الأولى ٢: ١١). لكن المرأة اليوم، وحتى في حضارات أخرى في عصر الرسول بولس، لها أن تمارس حريتها كإنسان له حق الحياة. يجوز للمرأة أن تلبس الفستان أو البدلة. ولها أن تمارس حقوقها السياسية والاجتماعية بكاملها.

(٩) في العهد القديم وضعت نظم خاصة للبكورية. فالابن البكر له امتيازات معينة على كل إخوته. وهذه الامتيازات لا تمنح للبنت إن كانت هي البكر في المواليد.

وفي عصرنا الحاضر نرفض كلية عدم المساواة بين الأبناء والبنات، كما نرفض كل ما يعوق انطلاق طاقات كل فرد للعمل الخلاق.

(١٠) في العهد القديم مورست أساليب للزواج. فإبراهيم أرسل أحد رجاله ليختار لابنه زوجة" (راجع تك ٢٤) وإبراهيم أب المؤمنين تزوج بأخته (ساراي) من أبيه، والتي لم تكن أخته من أمه (راجع تكوين ٢٠:١٢)، إلى غير ذلك من النظم التي كان مسموحاً بها في مجتمعات مختلفة.

وبارتقاء الحضارة وتقدمها أصبحت هناك وسائل متاحة للقاء المباشر بين الفتيان والفتيات، وأصبح لكلٍ أن يختار شريك حياته، من معرفة مباشرة، ولقاء مباشر.

(١١) بعض الوصايا ارتبطت بمشكلات محددة ترتبط بالشعب قديماً مع ظروفه السياسية. فعندما أوصى بأن "اعتزلوا يا شعبي"، كان يرتبط بالظروف السياسية المتاحة في عصرهم. فلا يجوز أن نفسرها حرفياً بأن ندعو المؤمنين بالاعتزال عن المجتمع المحيط. وقد اختلط المسيح بكل الناس من أشرار وأبرار. وفي عصرنا اليوم، عصر تداخل الحضارات، لا يجوز الاعتزال. بل إن حل المشكلات السياسية بين الشعوب اليوم لا يتم بالاعتزال.

(١٢) في عصر المسيح كانت هناك أمراض لا علاج لها: كالبرص، والأمراض النفسية والعصبية. هذه الأمراض لها علاج اليوم.

(١٣) هناك تعبيرات ترتبط بالبيئة والمجتمع الذي قيلت فيه ولا تعطي معنى لحضارة أخرى سوى من خلال القرينة. فمثلاً: قول المسيح إنه خبز الحياة، أو الصلاة: خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، تقال في مجتمعات يعتبر فيها الخبز هو الطعام الأساسي. في الهند مثلاً يعتبر الأرز هو الطعام الأساسي وليس الخبز. في دولة أخرى يكون البطاطس هو الطعام الأساسي وهكذا.

ولو أن المسيح جاء اليوم في القاهرة أو في نيويورك ما ذكر المثل: "هوذا الزارع قد خرج ليزرع". كان يقدم نفس الفكرة عن مدى تجاوب الناس وطاعتهم، من خلال مثل آخر. فالمسيح تحدث مع مجتمع فلسطين في عصره باعتباره مجتمع زراعي.

(١٤) يدفعنا العلم المعاصر أن نعيد تفسير بعض النصوص دون أن تفقد شيئاً من معناها ومضمونها. ودراستنا لنظرية دوران الأرض، أو دراسات علم النفس، إلى غير ذلك، تعاوننا على إدراك ما جاء بالكتاب المقدس. فالكتاب المقدس لم يُقصد به أن يكون كتاب علم. وقد كان الله يتحدث إلى الناس في عصورهم من خلال مفاهيمهم. لتصل إليهم الرسالة الروحية.

- وسوف يتمخض العلم عن نظريات وبحوثاً جديدة، تحدث عنها ثورة

فكرية وتكنولوچية ضخمة. فقد ظهرت نظرية الهندسة الوراثية، ثم نظرية الاستنساخ وغيرهما. وقد يتمخض العلم عن وسائل تعاون على إطالة عمر الإنسان، إلى غير ذلك.

- ونحن نؤكد أن الكتب المقدسة لم يقصد بها أن تكون كتب علم. ولكنها تؤكد علاقة الله بالبشرية والخليقة، كما تؤكد علاقة البشرية به. ونحن نترك للعلم أن ينطلق كما يشاء. والمشكلة في التقدم العلمي هي استخدام الإنسان للعلم. فالطاقة الذرية -عندما اكتشفت- لم تكن شراً. لكن استخدامها في قنبلة ذرية نزلت في هيروشيما كانت شراً. فالشر والخير هما في استخدام الإنسان للعلم.

(١٥) كان تعليم المسيح خطوة على الطريق. فقد عمل المسيح على تحرير المرأة. لكن تحرير المرأة في عصره لم يكن متاحاً بالكامل. فمارس المسيح خطوات في تحرير المرأة. من هذا نرى أن المسيح بدأ طريق تحرير المرأة، ونحن علينا من خلال النظم الديمقراطية المتاحة في عصرنا، أن نخطو خطوات أكبر على طريق تحرير المرأة في ضوء مفاهيمنا. فما عمله المسيح كان خطوة على الطريق، وعلينا أن نكمل.

كان حوار المسيح مع الفريسيين خطوة على طريق عدم قبول حرفية

النص، بل الاهتمام بجوهر الفكر والرسالة. وقد تابع الرسول بولس نفس الفكرة، عندما رفض الختان وشرائع الأكل وغيرها. ونحن نتابع المسيرة إذ نطبقها في عصرنا بمفاهيم العصر. فما بدأه المسيح ثم بولس. نكمله نحن اليوم.

يدفعنا هذا لكي نكتشف أن ما قاله المسيح أو الرسل في الوحي المقدس، لم يكن للتفسير الحرفي، بل لاكتشاف الطريق من خلال القرينة، والامتداد مع المعنى المقصود لتطبيقه في العصر الحاضر.

الخلاصة

ما تحدثنا عنه هنا، هو التمييز بين "الصورة" و "البرواز". فالصورة أهم من البرواز. فالبرواز يمكن تغييره، لكن الصورة هي الجوهر.

الفكر الإيماني في الوحي المقدس هو الجوهر. وكل ما يرتبط بتواصل العلاقة بين الإنسان وربه هو الجوهر. أما الشكل فليس مهماً. قد يتغير الشكل من بيئة إلى بيئة، ومن مجتمع إلى آخر، لكنه لا يزيد على كونه "الشكل". أما الجوهر فهو الأساس.

ونحن نحتاج دائماً أن نحتفظ بالجوهر جوهراً، وبالشكل شكلاً، لكي لا تختلط القيم، وحتى لا تضيع المعاني الأساسية في متاهات لا داعي لها. وبهذا نرى روعة الوحي الإلهي، وفاعليته العميقة في مجتمع اليوم.

فالكتاب المقدس كتاب للشعوب كلها، خلال التاريخ كله. فالسيد المسيح هو الذي قدَّم لنا الأسلوب الأمثل لمواجهة العصر، وتفسير النص وتطبيقه.

(٤) الإنجيل دعوة للاندماج مع الاحتفاظ بالذاتية

منذ بدء التاريخ المسيحي حاول المسيحيون بأساليب متنوعة الاعتزال عن الحضارات المحيطة. هرب المسيحيون من الحضارة الإغريقية الرومانية بل حاربوها[١٣٩]. فعاشوا غرباء عن الوثنية. واليوم نجد اتجاهات عديدة لرفض الحضارات الأخرى ومحاربتها. وهناك من يرمون الحضارات الأخرى بالفساد والانحلال، لأن أهلها يمارسون عادات وتقاليد لا تتفق معهم. وهناك أشخاص ينتقلون من حضاراتهم إلى حضارات أخرى مثل دول (المهجر)، ورغم تواجدهم في دول أخرى، فهم يهتمون بالحفاظ على تقاليدهم القديمة، ويرفضون بعض تقاليد الدولة التي يهاجرون إليها. وما يرفضونه يعتبرون أنه دينياً "خطأ". وقد يكون هذا صحيحاً وقد لا يكون. فبعض مظاهر الحضارة التي يرفضها المهجرون أو المهاجرون هي تقاليد مجتمع لا علاقة لها بالدين.

هناك حضارات دينية، وحضارات غير دينية. فحضارة اليهود دينية، والدول العربية تحتفظ بحضارة إسلامية. دول الغرب لا تدعو لدين محدد للدولة، لكنها عرفت بأن حضارتها تأثرت بالمسيحية أكثر من أي دين آخر. ومع ذلك، فقد انتشرت ديانات متعددة في بيئة واحدة، وأصبحت التعددية هي صفة غالبة في مجتمعات كثيرة في العالم..

والذين ينادون بالاعتزال يعبرون عن مخاوف أساسية في أعماقهم.

---

(١٣٩) Neibuhr, op. cit., p. 40

فهل يؤثر الاندماج على المؤمنين بترك دينهم إلى دين آخر؟ أو على الأقل: هل يؤثر الاندماج على المؤمنين بممارسة سلوك آخر، أو تقاليد أخرى لا تتفق مع إيمانهم؟ وماذا نعمل عندما نجد بعض أبناء وبنات المسيحيين يتزوجون من غير المسيحيين؟

يصير الموقف أكثر حساسية متى كان المسيحيون أقلية في مجتمع ديني لأغلبية من دين آخر. فما موقف المسيحيين في دولة إسرائيل؟ وما موقفهم في مجتمع غالبيته من الهندوس أوالمسلمين؟ هل حكومات هذه الدول غير المسيحية تمارس ضغوطاً على الأقليات لتغيير دينهم؟ وقد لا تكون الضغوط من الحكومات بل من الشعوب نفسها.

بل في حالة وجود جماعة مسيحية كأقلية تجدها تتأثر بحضارة المجتمع الأكبر. فبعض القيم غير المسيحية التي تمارسها الغالبية تصبح جزءاً من عقيدة الأقلية. وهم هنا لا يميزون بوضوح بين القيم. يحدث مثل هذا أيضاً عندما تكون المسيحية هي الأغلبية في المجتمع والأقليات من ديانات أخرى، عندها ترى مفاهيم الأقليات الدينية قد اختلطت فيها معالم حضارة تأثرت بالمسيحية.

ونحن في عصر المعلومات، أصبحت الشاشة الصغيرة ذات أثر بعيد المدى بالنسبة للناس. فالحضارات تنتقل عبر الشاشة إلى كل المتفرجين،

دينية أو غير دينية، ولها -دون شك- تأثيرها على المشاهدين.

وهناك صراع خفي وراء كل ذلك. فكل دين يرى أنه الدين الأوحد، وأنه متميز عن غيره. والأقليات الدينية تريد أن تحافظ على كيانها في مواجهة الأغلبية. وهناك صراع حضاري، فهناك من يرى أن الفتاة متى لبست البنطلون الشورت كان هذا عادياً. وفي حضارة أخرى يرى أنه انحلال.

وقد شهد العالم أسوأ ألوان الصراعات والحروب، صراعات وحروباً دموية بين أتباع الديانات العديدة. وكلما ظهر دين جديد كان يُعتبر منافساً للدين السابق له، فكثرت أنواع الاقتتال بين أبناء الديانات. ورغم أن الدين -لكي يكون ديناً- لابد له من نشر السلام والمحبة بين البشر، لكن الصراعات والحروب كانت الصفة الغالبة عبر سنوات طويلة.

وتتجه الممارسات الدينية إلى إرغام الأقلية بالخضوع لعادات وتقاليد الأغلبية. فأنت تجد بعض فنادق الخمسة نجوم في إسرائيل تمتنع عن طهي الطعام يوم السبت خضوعاً للتقاليد الدينية اليهودية. فالمحافظون اليهود، يريدون أن يمارس مجتمعهم بكامله الفكر اليهودي. فاليهودية ترتبط بشعب وأمة وأرض. وفي نظر المحافظين منهم أنه يلزم لغير اليهود، على أرض اليهود، أن يمارسوا تقاليد اليهود.

وهناك ديانات أخرى ترى نفس الفكر وتمارس نفس المفهوم. وهناك مجتمعات قليلة جداً في العالم تمارس نفس النظرية. إلا أن الإطارات العامة للمجتمعات المسيحية قبلت التعددية منهجاً والتنوع أسلوباً. ولعل السبب الواضح في ذلك أن المسيحية نشأت على أرض اليهود، ومن البدء رفضت الارتباط بحضارة مجتمعات اليهود. وعندما دخلت في مجتمعات الأمم الأخرى (غير اليهود) اندمجت مع حضاراتها. فلا توجد اليوم حضارة مسيحية، بل توجد حضارة مجتمعات تأثرت بالمسيحية.

فما هي علاقة حضارة دينية بمن يفد إليها من مجتمعات لها حضارة أخرى؟ وما هي علاقة حضارة مجتمع ديني مع شخص له انتماء ديني آخر يفد إليه ويعيش بداخله؟

تواجدت هذه الظاهرة في مجتمعات اليهود، في العهد القديم. فجاءت شرائع معاملة "الغريب". والغريب عندهم، هو الأممي، غير اليهودي. وهذه بعض الآيات التي جاءت في شريعة العهد القديم:

"ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه. لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر" (خروج ٢٢: ٢١).

"وإذا نزل عندك غريب في أرضكم، فلا تظلموه. كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتحبه كنفسك، لأنكم كنتم غرباء في أرض

مصر. أنا الرب إلهكم. لا ترتكبوا جوراً في القضاء لا في القياس ولا في الوزن ولا في الكيل. ميزان حق وإيفة حق وهين حق تكون لكم. أنا الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر" (لاويين ١٩:٣٣-٣٦).

"ولا تضايق الغريب، فإنكم عارفون نفس الغريب، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر" (خروج ٢٣:٩).

فالغريب في المجتمع اليهودي يمثل عند اليهود أقلية دينية. وقد رفضت الشريعة ظلم الغريب، أو الإقلال من قيمته، أو عدم معاملته معاملة إنسانية. ورغم وجود هذه النصوص في العهد القديم فلم تكن معاملة اليهود دائماً على هذا النحو. ففي مرات عديدة عامل اليهود الأقليات الدينية المقيمة معهم بأسلوب القهر والظلم.

ونحن نرى من أسلوب حياة المسيح عندما كان على الأرض، أنه لم يهرب من المجتمع، ولم يرفض الحياة الاجتماعية في عصره. بل اندمج فيها. تراه مرة في حفل زفاف، وتارة ثانية في منزل فريسي، وتارة ثالثة في الحديقة يتحدث مع الناس، يلتقي بهم ويواجههم. وعندما رفض تلاميذه السماح لأناس بمقابلته، وقف في وسط الطريق ورحب ببارتيماوس الأعمى، كما اهتم بسقط المتاع. وقف مع السامرية يتحدث إليها في قارعة الطريق، كما التقى بالمجدلية، واهتم بالزانية التي أراد اليهود رجمها، وحماها من

حجارتهم.

رفض المسيح أسلوب المعمدان في العزلة والتقشف. ورغم أن المسيح كان فقيراً، في ملبسه ومأكله. لكنه تعامل مع المجتمع. ذهب إلى الناس حيث هم. ورفض أن يعيش كيوحنا المعمدان الذي اعتزل المجتمع.

ثم جاء في أقوال الرسول بولس:

"ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع." (غلاطية ٣:٢٨).

من هنا كان الأسلوب المسيحي هو عدم التفرقة في الحقوق والواجبات بين المسيحيين وغير المسيحيين. فحقوق الإنسان قيمة إنسانية لابد من تحقيقها. فالإنسان خليقة الله مهما كان دينه أو جنسه. ولابد من العدالة بين الناس دون تفرقة لإقرار إنسانية الإنسان الذي خلقه الله.

إن أردنا تحليل الحضارات كما هي اليوم، فإننا نشهد تداخل الحضارات معاً (Syncretism). فاليهودية تأثرت بحضارات سبقتها، والديانات التي جاءت بعد اليهودية متأثرة بها. واندماج الحضارة والمجتمع وبعض المظاهر الدينية يعتبر ظاهرة واضحة لكل من يريد أن يحلل الديانات المتواجدة في مكان ما في هذا العالم. وحركة التوفيق بين المبادىء والعقائد المتعارضة Syncretism ترينا خليطاً من عناصر، واردة من مصادر متنوعة، لا تنتمي

معاً، أو أنها تتناقض معاً، رغم ذلك فهي تحاول أن تظهر كأنها نسيج فكري متناسق.

فالدعوة للاختلاط، دعوة لبناء الجسور، وإيجاد العلاقة الإنسانية الكريمة. للاندماج مخاطره، وللاعتزال مخاطره. ولكن مخاطر الاعتزال أسوأ بكثير من مخاطر الاندماج. فالجماعة المعتزلة، تتقوقع على نفسها، وتمتليء داخلها بمشكلات عديدة. تحرم نفسها من حق الحياة الكريمة والممارسة الحرة للمجتمع. ورغم الاعتزال فمخاطر الزواج المختلط لن تختفي. فكم من شخص هرب من المجتمع الانعزالي ليتزوج من شخص من المجتمع الآخر، إلي غير ذلك من المشكلات.

والدعوة الخلقية هي أن يعامل البشر معاملة كريمة كأناس خلقهم الله. فلا يجوز للأغلبية أن تعامل الأقلية إلاّ بالمساواة، فإن لم يحدث ذلك كان أسلوبهم هو أسلوب الإقلال من قيمة الإنسان التي خلقه الله عليها. ولا يجوز للأقلية أن تغترب عن المجتمع الأكبر، بل أن تعيش معه وله، وأن تسهم فيه بالجهد والعمل والكفاح.

والمجتمعات الدينية مجرَّبة أن تفرق بين الناس في التعامل، فهذا متدين وذاك كافر، هذا متمسك بشعائره وذاك لا دين له، هذا مؤمن وذاك شرير. وظهرت عبر التاريخ في ديانات عديدة معاملة أولئك الذين يرمونهم

بالكفر بأسلوب غير كريم، أو الإساءة إليهم، أو طردهم من المجتمع، أو إقرار عقابهم بأسلوب رادع. وهناك مجتمعات أعطت عامة الشعب الحكم على الإنسان بأنه كافر لأسباب متنوعة، بعضها يرتبط بحرية الفكر، وبعضها الآخر يرتبط بأسلوب الحياة والمعيشة. والحق في الحكم بالإيمان أو بالكفر حق لله وحده. ولو تواضع الإنسان لأدرك أنه ليس من حقه الحكم على آخر. للإنسان أن يحكم على نفسه. وله أن يبدي رأيه في تقييم المواقف والأفكار، وليس له أن يحكم على الغير.

عندما وقف الرسول بولس في وسط مجلس أريوس باغوس اليوناني، قال إنه بينما كان يجتاز وينظر إلى معبوداتهم وجد مذبحاً لهم مكتوباً عليه "لإله مجهول". لم يتهمهم، ولم يكفرهم، لكنه نظر إليهم نظرة إيجابية، فقال لهم: "أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً" (أعمال الرسل ١٧: ٢٢). وكانوا بالنسبة له "باحثين عن الله". وهنا قال لهم: "الذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنادي لكم به" (عدد ٢٣). فقد كان الإنجيل -في مفهوم الرسول بولس- هو كمال ما يتطلع إليه الغير.

بل إن الممارسات المسيحية لا ترتبط بالطوائف. فلا توجد عبادة لوثرية، بل توجد عبادة كما يمارسها اللوثريون[١٤٠]، وتوجد عبادة كما يمارسها الكاثوليك، والأرثوذكس أو المشيخيون وغيرهم.

(١٤٠) Geffre . **op. cit.,** p. 69

عندما سبى نبوخذ نصر ملك بابل الشعب قديماً، أحس الشعب بالأسى والألم. عاشوا في بابل مغتربين. لم يريدوا الاندماج في المجتمع العام. وهنا جاءت عبارات المرنم تصف هذه الحالة من الاغتراب:

"على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا. لأنه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة، ومعذبونا سألونا فرَحاً، قائلين: رنموا لنا من ترنيمات صهيون".

"كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة. إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك، إن لم أفضّل أورشليم على أعظم فرحي" (مزمور ١٣٧: ١-٦).

وهنا تشعر بمعاني الاغتراب المتضمنة في الكلمات التي عبَّر بها المرنم عن شعبه. فحتى ترنيمات صهيون لم يكونوا يشعرون براحة لترنيمها في مجتمع غريب. وكان إحساسهم أن الاندماج في بابل وفي حياتها العامة يكون إنكاراً لحبهم الأصيل لأورشليم. بل ربما كانوا يخافون من أن الاندماج في بابل ينسيهم أورشليم.

والواضح أنهم كانوا أقلية، وكانوا يُعامَلون معاملة سيئة. فقد عذَّبهم شعب بابل وحكامها. والحديث عن شجر الصفصاف كان يعبر عن البكاء وانهمار الدموع. ففروع شجر الصفصاف ترتفع ثم تتدلى بطول الأشجار،

كالدموع الغزيرة التي تنهمر من العيون.

إلاّ أن إرميا النبي، أرسل رسالة من أورشليم، لكل الشعب الذين سباهم نبوخذ نصر في بابل:

"هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

لكل السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل:

"ابنوا بيوتاً واسكنوا، واغرسوا جنات وكلوا ثمرها. خذوا نساء، ولِدُوا بنين وبنات، وخذوا لبنيكم نساءً، وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات، واكثروا هناك ولا تقلوا. واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها، وصلوا لأجلها إلي الرب، لأنه بسلامها يكون لكم سلام" (إرميا ٢٩:٤-٧).

وأقوال إرميا النبي ترينا يد الله في أورشليم وفي بابل. فبابل خليقة الله كأورشليم رغم اختلاف الحضارة. والله يهتم بسلام بابل كما يهتم بسلام أورشليم. والله يدعو اليهود، رغم أنهم في حالة السبي أن يعيشوا حياتهم العادية، وأن يندمجوا مع المجتمع الموجود، وأن يثبتوا وجودهم الحي الحقيقي في بابل.

والاندماج في بابل كان يتطلب اندماجاً اقتصادياً واجتماعياً وأسرياً. قد يتطلب الاندماج في مجتمع آخر نفس المستوى أو مستويات أقل أو

أكثر. فكل حالة تدرس على انفراد، لكن حالة الاندماج أساس لمطلب إرميا.

الاندماج لا يتطلب الاتفاق في العقائد والأفكار، لكنه يلتزم باحترام الآخر، وعدم الإساءة إليه، ولا إلى فكره. وحماية النشء من الانحراف أو تغيير الدين تأتي بالتربية والثقافة وبناء الفكر.

وكل حضارة فيها ما يتفق مع دين الجماعة وإيمانها، وفيها ما لا يتفق. وللجماعة أن تختار ما يتفق معها، وأن ترفض ما لا يتفق. هناك حد أدنى من الاتفاق في العادات والتقاليد والأفكار والمباديء، يربط الجماعة ويوحدها.

ولابد من احترام التعددية. فمتى وجدت أساليب الإغراء على ترك دين إلى دين آخر بوسائل الإغراء المادية والتسهيلات في المعيشة، كانت هذه وسائل اقتناص (Proselytism) غير شريفة.

والجماعة المؤمنة تعيش مع المجتمع المحيط، سواء أكانت أغلبية أو أقلية، محافظة على ذاتيتها، دون تراجع أو تردد، تستمع لصوت الله، وتتجاوب معه. والجماعة المؤمنة في تواجدها مع المجتمع الأكبر المحيط بها، تكون كالخميرة، التي تترك تأثيراً طيباً، وتصبح بركة لكل من حولها. بل تعيش اختبار التجسد في المجتمع، تعيش لأجله، لتبعث فيه

حياة وحيوية، حتى وإن كانت أقلية.

جماعة المؤمنين، هم جسد المسيح المتواجد في المجتمع، علامة حيّة لنعمة الله الفعّالة. فهي تعيش في مشاركة قومية مع الاحتفاظ بخصوصيتها.

بقى لنا أن نتحدث عن الشهادة. فالمسيحي مدعو للشهادة لسيده. والشهادة جزء من الرسالة الإيمانية. والمجتمع الناضج المسئول يسمح بحرية الشهادة، وبحق كل إنسان أن يقبل أو يرفض الدعوة. كما أنه من حق كل إنسان أن يغير عقيدته. وكلما كان المجتمع ناضجاً، كانت الشهادة بأسلوب أخلاقي كريم، وكانت حرية الفرد تتيح له أن يقبل أو أن يرفض. هذا حق طبيعي من حقوق الإنسان.

والحوار الديني حق آخر من حقوق البشر. فكلما نضجت المجتمعات تمكنت من إقامة حوارات دينية ناضجة فيها يقبل كل واحد الآخر، برغم الاختلاف والتنوع، على مستوى من الاحترام الكامل. يتحقق هذا بين أبناء الديانات المختلفة، كما يتحقق بين أبناء الطوائف المختلفة.

من هنا كان الأسلوب الأمثل للحياة البشرية، أسلوب التعايش الإنساني الكريم بين المجتمعات البشرية مختلفة الديانات والطوائف. وبذلك تتحقق صلاة السيد المسيح "ليكون الجميع واحداً" (يوحنا ١٧:٢١). والوحدة

هنا وحدة رغم التنوع الديني أو المذهبي.

والخدمة الإنسانية الاجتماعية لا يجوز أن تتسم سوى بالمحبة الكاملة. ولا يجوز لها أن تستخدم كوسيلة جذب من طائفة إلي طائفة أو من دين إلي دين. كما أنه لا يجوز استخدامها وسيلة للتفرقة بين الناس. فالخدمة خدمة لتحقيق إنسانية الإنسان.

فالاندماج المسئول قضية مواطنة، وقضية إنسانية. فيها يحمل كل واحد مسئوليته تجاه نفسه وتجاه الآخر. ومن صور الحرية العامة حرية التعبير عن الرأي والفكر، وحرية الاختيار لكل شخص أو مجتمع في أن يختار الطريق الإيماني والقيم الإنسانية التي تناسب العصر والمجتمع. فالحرية العامة تشمل الحرية الدينية. وهي جزء لا يتجزأ من الديمقراطية التي تبنى عليها المجتمعات الحديثة.

(٥) الإنجيل دعوة لتغيير الحضارات

الحضارة هي الإنسان بكل ما فيه. فهي تعيش في أعماقه. والإنجيل في كل حضارة يتفاعل معها بطريقة تتنوع بتنوع الحضارات. فالحضارة هي الصوت البشري الذي يتجاوب مع الإنجيل. وكل مجتمع -أو فرد- يتجاوب مع الإنجيل من خلال حضارته. بل إن كل مجتمع يفهم الإنجيل بأسلوبه الخاص. فالإنجيل في كل حضارة يرتبط بالموقع المحلي والبيئة المحلية. وفي كل بيئة نماذج ورموز تعبِّر عن الحضارة. وبدخول الإنجيل إلى هذه الحضارة، تستخدم هذه النماذج والرموز الخاصة بها للتعبير عن الإنجيل ورسالته.

لكن الحضارة -في أي مجتمع- ليست مقدسة. وفي كل حضارة عناصر إيجابية وعناصر سلبية. فالحضارة قد تحرر شعبها، وقد تكون قاهرة له. فهناك حضارات استعمارية، قهرت الشعوب أجيالاً طويلة. وحضارات القهر ظلمت الأقليات، كما ظلمت المرأة. فكم ضاعت حقوق الإنسان في حضارات الظلم والبطش. وقد بلغ الاستعباد بجماهير الناس، أنهم في عبوديتهم وذلهم أعلنوا أنهم متحررون. أتصدق أنه في مجتمع حرمت فيه المرأة من كل حقوقها، أن تخرج مظاهرة نسائية تعلن أنهن متحررات ولهن كل الحقوق؟ إن كابوس الحضارة المخيف يضع مجتمعات بأسرها في قوالب الظلم لدرجة أنهم يفقدون حساسيتهم بهذا الظلم. وأحياناً ينتج

ذلك عن قهر السلطة الغاشمة التي تدير الأجهزة بأسلوب دكتاتوري. وكم من فئات من الناس حرمت حريتها، وبسبب الفقر والجوع لا تقدر أن تعبر عما في أعماقها. وقد عاش ملايين الناس وفي بيئات عديدة محرومون من حق الحياة الكريمة.

وهناك بعض كنائس دعت إلى العزلة. فالكنيسة تقيم الناس بعدم ممارسة أي شيء سوى الديني. فالموسيقى لابد أن تكون موسيقى دينية، والأغاني لابد أن تكون روحية، وترفض الكنيسة كل ما هو غير ذلك. وفي نفس الوقت تمارس هذه الكنائس عادات ترفضها المسيحية، مثل فصل الرجال عن النساء في الكنيسة.

ولو عدنا إلى أسباب القهر والظلم في غالبية الشعوب والمجتمعات، نجد أن لها أساساً في التركيبة الإدارية، والبنية السياسية للمجتمعات. كما نجد أن هناك قوانين وقرارات دولية تنظمها. وإعادة الحرية والعدالة إلى تلك المجتمعات تستلزم تغيير قوانين القهر المعمول بها، أو حكومات القهر القائمة. وما لم تتغير القوانين والنظم التي تعوق تطور الحضارة وتقدمها فلا مستقبل لهذه المجتمعات.

فالإنجيل دعوة لتحرير الحضارات من التفرقة العنصرية، ومن الفردية إلى المجتمعية، ومن الظلم للعدالة، ومن الباطل للحق. فدور الإنجيل نقد

الحضارة، لتغييرها للأفضل. والإنجيل دعوة لوحدة المجتمع، وتماسكه. كما أن الإنجيل يدعو إلي استرداد الإنسان لقيمته الذاتية، ومساندته لما هو أفضل، ليعيش الإنسان حياته إلي ملئها. والإنجيل يهتم بالعدالة التي تحقق لقمة العيش الكريمة للجائع، والمعيشة المناسبة للفقير. فالإنجيل يرفض إذلال الفقير والمتألم، كما يرفض الإقلال من قيمة المرأة وعدم مساواتها بالرجل. الإنجيل دعوة لإقامة مجتمعات مسئولة وملتزمة تقرر العدل والحق والمساواة بين البشر.

وهناك حضارات ارتبطت بالثقافة المتخلفة لمجتمعاتها، فدعمت السحر والخرافة ومخاطبة الجان إلي غير ذلك من الخرافات. وحضارات العنف والسلاح التي تهدد وتتوعد فتحرم الإنسان حقه الشرعي كإنسان له قيمته. وهناك حضارات ارتبطت بممارسات ترتبط بالجهل. فهناك من يظنون أن شرب ماء النيل يعطي خصوبة، وأن ختان الإناث يمنح طهارة، وأن زينة المرأة هي سبب الانحراف، إلى غير ذلك من المفاهيم الخاطئة علمياً.

بل امتدت المشكلة إلى أن المتدينين أخذوا بعض هذه المفاهيم وربطوها بالدين. أتتصور واعظاً يلقي عظة يتحدث فيها عما هو خطية في ملابس المرأة وما هو شكل الملابس البارة؟ فهناك مجتمعات مسيحية لا تعطي

المرأة قيمتها الإنسانية وتحرمها مكانها في المجتمع والكنيسة. ولماذا نظلم المرأة، ونرغمها على ملابس تغطي كل جسمها، خوف أن الرجل يتطلع إليها. فأنت تجد امرأة في الصيف شديد الحرارة تلبس الملابس الثقيلة التي لا تحتملها، وذلك بسبب ضغوط المجتمع عليها.

وهناك مجتمعات استخدمت الدين للسلطة الغاشمة وللقهر والظلم. فهناك فئات من الناس في كنائس اليوم تقوم بدور "الكتبة والفريسيين" في عصر المسيح. فهم يحكمون على الغير في تصرفاتهم، ويحاولون أن يجدوا أخطاء يحكمون بها عليهم، وهم يظنون أنهم أفضل من غيرهم، أو أكثر منهم براً.

لابد من تعاون الدين مع العلم لتنقية الحضارة مما علق بها عبر التاريخ. فالعناصر التي تحكم على تقدم الحضارة، هي عناصر احترام الإنسان، وتحريره، وحصوله على حقوقه، وإثباته لآدميته. فعندما ترتقي الحضارة تكون حضارة إنسانية بكل معاني الكلمة. وكل ما يقلل إنسانية الإنسان، أو يتعارض معها لابد من تغييره. فالإنجيل هو إنجيل الحرية الشاملة للمجتمع والفرد. فالدور المسئول لنا هو أن نقوم بحركة تغيير فعّالة تطور المجتمع وتدفعه للأمام.

ونحن ندرك أن تغيير المجتمع لعاداته وتقاليده ونظمه يحتاج لوقت

طويل. فإعادة بناء الفكر والنظم في المجتمعات البشرية لا يأتي بسهولة ويسر. فلابد من التعليم والتثقيف الذي يعاون على الحوار الفكري. كما أنه لابد من تغيير النظم والقوانين التي تعطل التقدم. وبذلك تنشأ مجتمعات، وتبنى علاقات قادرة على تغيير المجتمع.

ولا ننسى أن هناك أدواراً مساعدة. فتنَقُّل الناس من مجتمعات إلي مجتمعات أخرى بالكثرة وبالسرعة التي نراها في مجتمعات اليوم، وانتشار وسائل الإعلام عبر الأثير لمجتمعات العالم، يدفع المجتمعات إلى التفكير واختيار الأمثل ثم التغيير.

لهذا كان هدف التغيير تحرير الإنسان، وممارسة الديمقراطية الحقة، وإقرار المساواة، ورفع المعاناة عن المظلوم والمتألم والفقير والجائع، وتثبيت حقوق الإنسان، ودفع المجتمع من خلال أساليب حياة كريمة للتقدم والإنتاج الخلاق والعلاقات الحميدة.

ولابد للكنيسة أن تعيد تقييم رسالتها وهدفها. فالكنيسة تحتاج أن تدرس وتفهم الفكر اللاهوتي للحضارات، ثم ترى من خلال ذلك دورها الحقيقي في مجتمع اليوم. والكنيسة تحتاج أن تعيد دراسة الإنجيل في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، لكي ترى ما يصنعه الإنجيل للعالم في المستقبل.

ونحن ندرك أن أساليب العصرية، ليست كلها صواباً. فلابد من تقييم عناصر التحديث، ومواجهتها العملية للمجتمع المعاصر، ودراستها بذهن منفتح.

فقد جاء السيد المسيح ليعطينا حياة أفضل. فالإنجيل إنجيل الحرية من الشر والفساد، كما أنه إنجيل التحرير من الظلم والألم. فكل العناصر التي تقلل إنسانية الإنسان (de-humanizing) تعتدي على ما خلقه الله ورأى أنه حسن جداً. والدور النبوي للإنجيل هو تغيير الشعوب والجماعات والأفراد لإطلاق الطاقات البشرية الخلاقة لصنع مجتمع جديد متحرر.

دعا الإنجيل المساكين والودعاء (المهمشين الذين لا قوة لهم) لتكون لهم مكانتهم في المجتمع والكنيسة. فللإنجيل قوة تغيير في كل الحضارات. الإنجيل ينير الحضارات، ويحرر البشر، ويدعم ذاتية الإنسان، ويعيد بناء المجتمعات المحلية على أسس كريمة، ولرجاء وطيد في مستقبل أكثر سعادة. فروح الله يعمل في كل الحضارات على سيادة الله على الخليقة كلها، وإلى الحياة الكاملة لأصلها.

وقد صوّر لنا السيد المسيح نماذج عديدة لهذه الحالة. فقال قصة ذلك الغني الذي جلس خارج بابه لعازر الفقير المتألم، الذي لم يكن يقدر أن يشفي جوعه حتى بالفتات الساقط من مائدة الغني (راجع لوقا ١٦:١٩-

٣١). كما حدثنا المسيح عن ذلك الغني الذي أخصبت أرضه وأثمرت وبعد أن حصد نتاج أرضه قال لنفسه: كلي واشربي، لك خيرات كثيرة لسنين عديدة (راجع لوقا ١٢: ١٣-٢١). أرانا المسيح صورة الفقر في المجتمع البشري التي آلمته جداً.

كما صوَّر لنا المسيح اهتمامه بالفئات المهمشة في المجتمع اليهودي، فالعاهرات كن يعتبرن من سقط المتاع -فالمجتمع الديني لم يكن يهتم بهن. بل وكان يفتش عن المناسبة ليمسك بأي واحدة منهن في ذات الفعل ليرجمها حتى الموت. وقد أحس المسيح بالأسى من أجلهن. فلابد من توفير حياة كريمة لهن. فقد رفض المسيح حضارة احتقار فئة معينة من الناس لسلوكها. كما رفض الازدراء بها.

اهتم السيد المسيح بالفقراء والشحاذين وأولاد الشوارع، كما اهتم بالمرضى نفسياً وعصبياً وعقلياً. بل المصابين بأمراض معدية، كالبرص (الجذام) والذين استبعدهم المجتمع، اهتم المسيح بهم- ولم يقبل المسيح أن يترك فئة تعاني من الشرذمة والانفصال عن المجتمع مهما كانت الأسباب التي دعت إلي ذلك.

ولعلنا نشهد التوتر الدائم في علاقات المسيح مع الفريسيين والكتبة. فلم يكن المسيح يقبل أساليب الإدانة والحكم على الغير. وكان صوت

المسيح يتكرر دائماً: "من منكم بلا خطية؟"

بل حتى أساليب العقاب الوحشية تتغير بارتقاء الحضارة. فلا مكان للرجم أو ما أشبه لتكون المعاملة إنسانية حتى في العقاب.

الإنجيل صانع قيم. وقيم الإنجيل تتوافق مع قيم التحرر والمساواة، الحق والعدل، لكل المجتمعات البشرية. لذا فهناك ضرورة لفهم الإنجيل وإعلانه.

وفي التاريخ الكنسي سجلات عن أشخاص قاموا بمحاولة إصلاح للحضارات القائمة. من أولئك أوريجانوس، وإكليمندس الإسكندري، وأمبروسيوس، وأوغسطينوس. وفي القرون الوسطى فرانسيس، ودومينيك، وبرنارد أوفي كلارڤو[١٤١]. وفي انجلترا اهتم بإصلاح المؤسسات وليم بن وچون دولمان[١٤٢]. إلى جانب ذلك فهناك أسماء لامعة لم يكن لها دور في محاولة تغيير الحضارة أو المؤسسات مثل ترتليانوس وچورج نوكس[١٤٣].

نحن نحترم الحضارات، لكننا نرى أن هناك جوانب في الحضارات لا تتفق مع إنجيل المسيح، إنجيل العدالة والحرية والمساواة. دعا القديس

---

(١٤١) Neibuhr, op. cit., p. 67
(١٤٢) Ibid., p. 68
(١٤٣) Ibid.,

أوغسطينوس، كما دعا چون كلڤن إلى ضرورة تجديد الحضارة، فالمسيح يجدد الحضارات[١٤٤]. فنحن نحتاج اليوم إلى إشعياء وعاموس وإرميا، أنبياء للقرن الحادي والعشرين، لنواجه الحضارات المعاصرة، وما يلزم لتغييرها. فيسوع المسيح لا يجوز أن يكون مجرد اسم بل واقع وحقيقة للشعوب والمجتمعات والأفراد.

(١٤٤) Ibid., p. 43

(٦) الإنجيل يدعونا لانطلاق الجهد البشري لتغيير الحضارة والمجتمع

روح الله يعمل في الخليقة. لكنه لا يعمل بمفرده. يظن بعض الناس أنهم يتركون لروح الله أن يعمل وحده. وهناك من يظنون أن كل ما عليهم هو أن يصلوا لله. وينادي البعض أن كل اهتمام المؤمنين يرتبط بالحياة الآخرة، وليس لهم الاهتمام بالواقع.

دعا السيد المسيح تلاميذه أن يطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها (الحاجات العامة والدنيوية) تزاد لهم. فسّر البعض هذه الآية خطأ، إنها تواكل كامل على الله دون جهد من البشر. والصورة هنا خاطئة كلية. فقد كان لابد للناس أن يعملوا، ولابد للتلاميذ والرسل أن ينشروا الرسالة مع كل المعاناة التي واجهوها. وقد وضح الرسول بولس صورة الجهد البشري، عندما قال: "نحن عاملان مع الله" (كورنثوس الأولى ٣:٩)، وكان يتحدث عن نفسه وسيلا معه. وفي مجمع أورشليم قال يعقوب: "رأى الروح القدس ونحن" (أعمال الرسل ١٥). فالروح القدس ليس مجرد مرشد، لكنه شريك. والشركة هنا شراكة فكر وعمل بين روح الله والإنسان. فالإنسان شريك مسئول في الفكر، وهو الذي يحقق الفكر من خلال جهده البشري.

وفي مجمع أورشليم قررت الجماعة رفض شرط الختان لمن يدخل المسيحية. كان هذا في نظر الرسول يعقوب قرار الروح القدس والجماعة المفكرة معاً. فالمفكرون في مجمع أورشليم شاهدوا خبرات متنوعة مع تقديم الإنجيل، والأجيال الكبيرة من الناس التي قبلت الإنجيل ودخلت المسيحية. من خلال هذه الخبرات، والدراسة الموضوعية أمكن الوصول إلي قرار. فقد أحس المجتمعون أن الممارسات اليهودية ترتبط بحضارة اليهود، وليست ضرورة لحضارات غير اليهود.

لذا كان من الواضح أن الله يعمل من خلال الإنسان. والإنسان يعمل من خلال إعمال العقل، والجهد البشري. فالروح القدس موجود، يستمر فعله في الحياة اليومية للبشرية. والإنسان قائم يفكر ويعمل. ولذا، فالإنسان شريك لله في الخليقة. في تنظيمها وإدارتها.

من يريد أن يعتمد على الله وحده، الله لن يعمل وحده. والإنسان الكسول لن يحقق أمالاً ولا طموحات في الحياة. الإنجيل لا يحرر الإنسان بطريقة أتوماتيكية. الإنسان يتحرر من خلال الجهاد والكفاح، ونعمة الله ترافقه.

والإنسان بعقله الجبار -الذي هو عطية الله- يصنع التاريخ. فالاكتشافات الحديثة والتكنولوچيا تصنع عالماً جديداً. وعالم الغد يختلف

كلية عن عالم اليوم. وكلما تقدم العلم والتكنولوچيا تقدم الإنسان وحقق طموحاته.

والبشرية تعاني وتئن. فالفقر والبطالة مشكلات أصيلة في مجتمع اليوم. بلايين البشر ينامون جوعى كل يوم. الظلم منتشر في بيئآت عديدة. وهناك فئات من البشر تعيش حياة المعاناة والظلم. لابد من العمل والكفاح ليسترد الإنسان قيمته الإنسانية التي خلقه الله عليها.

لا فصل بين العقل والوحي. فالوحي في المسيح، والعقل في الحضارة[١٤٥]. والعقل يخدم الإنجيل كما يخدم المجتمع.

ودور الكنيسة عبادة الله الحي، وخدمة الإنسانية. فنحن نحتاج لأصوات تدافع عن الحق، وتكافح من أجل تقدم المجتمع والإنسانية. نحتاج لأصوات الشعب التي تنادي بالتحرر من القهر، وتجديد المجتمع وتغييره. وكما قال عاموس: "وليجر الحق كالمياه، والبر كنهر دائم" (عاموس٥: ٢٤).

(١٤٥) Ibid., p. 11

(٧) المسيح تحقيق لأحلام وآمال الحضارات

المسيح هو الكلمة المتجسد. هو النور الذي جاء لينير العالم. وهو خبز الحياة، الواهب حياة للبشرية. هو الطريق والحق والحياة. جاء المسيح يعلن إنجيله في ذاته. فالإنجيل واحد. والرجاء واحد في المسيح. فإن الله لم يترك نفسه بلا شاهد. ولا يقدر أحد أن يحد من قوة الله وحضوره في العالم. فحينما وجدت الرحمة والمحبة وجد الله، وحيثما وجد الجوع والظلم والأنين وجد الله. وملكوت الله قائم وموجود، أمس واليوم وغداً. ملكوت الله واقع يتجسد على الأرض اليوم، وكل يوم.

يرتبط الإنجيل في كل حضارة بالقيم والآمال والاختبارات والرؤى لذات الحضارة. فالمسيح تحقيق لأحلام الحضارات، وهو صانع المجتمع الحق. فهو مسيح الحضارة، بل وفوق الحضارة[١٤٦]. فالإنجيل للمجتمع، وللفرد من خلال المجتمع.

يحقق الإنجيل أحلام الحضارات من خلال دمج الرسالة (النص) مع الحضارة التي قدم فيها (القرينة)، ثم مقارنة المبادىء والقيم والأفكار للحضارة المعاصرة[١٤٧]. وبذلك يتحدث النص إلى الناس في المجتمع المعاصر، من خلال واقعهم بكل ما فيه من تعقيدات[١٤٨]. فالنص لا

(١٤٦) Ibid., p. 24

(١٤٧) Luzbetak. **op. cit.,** p. 69

(١٤٨) Reeves. **A Prophetic Reconception of God for Our Time.** p. 154

يتغير، لكن القرينة تتغير[١٤٩].

إنجيل المسيح أمل البشرية، ونحن وكلاء الشهادة، نتحمل مخاطر الشهادة من أجل المسيح. رسالة المسيح تهتم بالبشر كلهم. والكنيسة ملزمة بالاهتمام بالإنسان. وشعب المسيح هم أعضاء الجسد، وفروع الكرمة. والله يستخدم العظماء والبسطاء، كلٌّ في مكانه لتأدية دوره.

وإنجيل المسيح يرتبط بكل حضارة. أُتهم المرسلون الغربيون قديماً بأنهم نقلوا الإنجيل مع حضارتهم. ويمكن أن يكون في هذا بعض الصدق. إلاّ أنه من الواضح أن هناك مرسلين عاشوا فقراء مع الشعوب التي خدموها، وهناك مرسلون عاونوا في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات المحلية، إلى غير ذلك. وقد جاء الوقت أن الشهادة تقدم من الغرب ومن الشرق. وللإنجيل في كل مجتمع خصوصيته التي تميزه.

ونظم العبادة في كل مجتمع تأخذ خصوصيتها من حضارات شعوبها. فهناك من يستخدمون الموسيقى الشائعة، وهناك من يرقصون في العبادة. كما أن معمار الكنيسة في كل بيئة اتخذ نماذج من الفن والمعمار المتواجد في حضارته.

الإنجيل في مجتمع ما دعوة لتحرير الإنسان ليكون ذاته، وتمكينه

---

(١٤٩) Ibid.

(empowering) ليكون أداة لتنمية المجتمع، وتغيير البيئة الأساسية له ليكون مجتمعاً صالحاً عادلاً أميناً. الإنجيل يحرر من الطغيان والظلم، ويحرر من الطقسية السطحية، كما يحرر من الخوف وعدم الأمان، ويقوي المؤمنين في كفاحهم ومقاومتهم لخدمة الإنسان.

خاتمة

علامات الأزمنة

للدين مكانته في القرن الحادي والعشرين إلي جانب التقدم العلمي والتكنولوچي، وفي عصر المعلومات التي تخترق كل المجتمعات من خلال الإعلام الحديث. وفي عصر الكونية globalization تبنى وحدات مجتمعية متداخلة معاً، يصبح الإيمان علامة قوية وخميرة فعالة، تعلن محبة الله للبشرية وللخليقة، وتدعو لوحدة البشرية تحت حكم الإله الواحد.

ومن خلال ذلك نتطلع لوحدة كنسية أعمق، رغم تعدد الكنائس والمذاهب. ونتطلع لدور أكبر لكنيسة الرب يسوع في مجتمعات العالم وحضاراته، إذ تحس الكنيسة بدورها في تطوير المجتمعات، لصالح الخليقة والإنسان.

وفي مجتمعات التعددية الحضارية تتطلع لأسلوب التعايش الذي يحقق السلام والشراكة وبناء المجتمعات وشفاء الإنسان. مما يتطلب قيماً جديدة تتفق مع العصر والمجتمع، وعلاقات جديدة تبني المستقبل لحياة أفضل.

Bibliography

• Ariarjah, S. Wesley. **Gospel and Culture**. An Ongoing Discussion Within the Ecumenical Movement. Geneva: WCC Publications, 1994.

• Bediako, Kwame. **Theology & Identity**. The Impact of Culture Upon Christian Thought in the Second Century and Modern Africa. Oxford: Regnum Books, 1992.

• Carr, Dhyanchand. **Is There a Space for Ethnic Consciousness and Cultural Particularity Within the One New Humanity We hope and Work for?** A Chapter in Christopher Duraisngh's Study in International Review of Mission pp. 11-23.

• Costa, Ruy O., Editor. **One Faith Many Cultures.** Inculturation, Indigenization and Contextualization. The Boston Theological Institute. Annual Volume 2. N.y.: Orbis Books & Boston Theological Institute, 1988.

• Duraisingh, Christopher. **Editorial.** International Review of Mission. Vol. LXXXIV No. 335. October 1995. pp. 359-363.

• Duraisingh, Christopher. **Gospel and Identity in Community.** Editorial. An Artical in the International

Review of Mission. Volume LXXXV, No. 336. January 1996. Geneva: WCC, 1996 pp. 3-9.

• Geffer, Claude. **Christianity & Culture.** A Chapter in Ecumenism, Culture and Syncretism by Jacob Tesfai. pp. 17-31.

• Luzbcbak Louis J. **The Church and Cultures.** New Perspectives in Missiological Anthropology. American Society of Missology Series, No. 12. Orbis Books . N.Y. : Maryknoll, 1989

• Newbigin, Lesslie **The Gospel in a Pluralist Society.** Grand Ropids, michigan : Eerdmans Publishing Company, a WCC Publications 1994 2nd. ed.

• Neibuhr, H. Richard. **Christ and Culture.** N.Y. : Harper & Row, Pub., 1951

• Peck, jam Cary. **A Critical Approach to the Social Function of Religion: Mission, Imperialism & Accomplishment.** A Gospel in our Faith, Many Cultures, edited by Ruy O. Costa. N.Y. : Orabis Books & Boston Theological Institute, 1988, pp. 14-24.

• Reeves, Talata. **A prophetic Reconception of God for**

our time. A Chapter in one faith, Many Cultures edited by Ruy O.Costa. N.Y.: Orabis Books, 1988. pp. 153-159.

• Samarthe, Stanley J. **Between Two Cultures.** Ecumenical Ministry in a Pluralist World. Geneva: WCC Publications, 1996.

• **Spirit, Gospel, Cultures.** Bible Studies on the Acts of the Apostles. Geneva: WCC Publications, 1995.

• Stauffer, S. Anite. **Culture and Christian Worship in intersection.** A chapter in Ecumenism, Culture and Syncretism by Jacob Tesfai. pp. 65-76.

• Tesfai, Jacob. **Ecumenism, Culture & Syncretism.** An Article in the International `Review of Mission. Volume LXXXIV, NOS 332/333. January/April 1995. Geneva: WCC, 1995.pp. 7-16.

• Tillich, Paul. **Theology of Culture.** Edited by Robert C. Kimball. N.Y.: Oxford University Press, 1959.

• Wilson, H.S., Editor. **Gospel and Cultures.** Reformed Perspectives. The Papers and Findings of the WARC Consultation at Renlepao. Indonesia. 5-10 February, 1996. Geneva: WARC, 1996.

• السيد يسين : **الوعي التاريخي والثورة الكونية . حوار الحضارات في عالم متغير** . القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيچية ـ الأهرام ١٩٩٥ .

ملاحق:

دراسة تطبيقية من العهد الجديد

الإنجيل والمواجهة الأولى للصراع الحضاري

تمهيد

كان تعليم السيد المسيح، هو الشرارة الأولى، التي اشتعلت، فانتشرت في عصرها بسرعة البرق. ورغم أن السيد المسيح لاقى الموت بسبب تعليمه، لكنه بقيامته أعلن أن تعليمه حي، مستمر، لا يموت.

وكان السيد المسيح، في تجسده على الأرض، يمثل رسالة الإنجيل في أبهى صورها. فلم يكن إنجيل السيد المسيح شريعة مملة، ولا قوانين جامدة، لكنه كان يحتوي مضمون الحياة الإنسانية على وجه الأرض. فقد كان تعليم المسيح، الوجه المشرق، للإيمان المسيحي.

وبمجرد انطلاق السيد المسيح وصعوده إلي السماء، وحلول الروح القدس، شعر التلاميذ والرسل بمسئوليتهم، لنشر الإنجيل، في كل مكان. بدأ التحرك من أورشليم، في كل الاتجاهات كما أوصاهم السيد المسيح (أعمال الرسل ١ :٨). بدأ العمل مع اليهود، ثم امتد خارج اليهودية. وقد واجه التلاميذ والرسل تحديات عديدة، وكانوا يؤكدون، عمل الروح القدس من خلالهم، وتأثيره بعيد المدى، في كل مكان وموقع من مواقع العمل.

أعمال الرسل

يستعرض لنا سفر أعمال الرسل، رحلة تاريخية خطيرة، لفعالية عمل إنجيل ربنا يسوع المسيح، وهو ينقل من مكان إلي مكان. فعندما أرسل

السيد المسيح تلاميذه ورسله، يحملون الإنجيـل، إلى كل بقاع العالم، دخلوا مواقع عديدة، وقدموا الإنجيل لفئات عديدة من البشر.

ورغم أن لوقا (كاتب أعمال الرسل)، لم يستعرض كل تفاصيل التاريخ الأول، لنشر الإنجيل، لكنه اختار منه فصولاً معينة، يسجل بها تطور تاريخ انتشار الإنجيل. ومن قاموا به، وبعض ما واجههم من مشكلات. وقد أفاض لوقا في مواقف معينة، أراد شرحها بالتفصيل لأهميتها البالغة.

صراعات فاعلية الإنجيل

وقد كانت رحلة الإنجيل، خطيرة وخلاَّقة. لم تكن مجرد دعوة للإيمان فحسب، بل كانت تتضمن دعوة للتآلف مع الحضارات المتعددة، أو لتطوير الحضارات. وكان هذا الدور يتبنى رؤية شمولية للمجتمعات التي يذهب إليها تلاميذ السيد المسيح.

لكن المشكلة تبرز في دورها الأخطر. فإن المسيحية -في باكر عهدها- كانت تعتبر فرقة يهودية تؤمن بدعوة السيد المسيح. وقد ظهر الإنجيل، في دور خلاَّق، ليميز تمييزاً واضحاً بين اليهودية والمسيحية. فلا يجوز أن توضع رقعة من قطعة جديدة، على ثوب عتيق، فلا يندمج الاثنان. كما لا يجوز، أن توضع خمر جديدة، في زقاق (قربة جلد) عتيقة، فالخمر الجديدة،

لتخمرها ، تتلف الزقاق، فتحتاج لوعاء به مرونة كافية. لكن قربة جلد الماعز القديمة، جافة، لا تتكيف مع الخمر الجديدة.

ولذا ، استقلت المسيحية -نتيجة للصراعات الناشئة عن تقدم رسالة الإنجيل- في اليهودية كما في الأمم. ولما كان المجتمع الجديد يتكون من حضارات متعددة، بدأ الصراع بينهما على مستويات عديدة. وكان هذا الصراع نتيجة طبيعية للخلاف الحضاري للوافدين إلى المسيحية. وكان لابد من تحديد ملامح الخلاف، ثم تحديد ملامح الإيمان المسيحي في علاقته بالحضارة الجديدة.

من هنا نرى تفاعل الإنجيل مع المجتمع وحضاراته، في صراع متواصل، فالإنجيل واحد ، والحضارات متعددة. بل الإنجيل الواحد ، تارة يتكيف مع الحضارات، وتارة يطوِّرها .

ومع هذا الصراع البنَّاء، تبرز داخل جماعة الرب، جماعات فريسية، متطرفة في المحافظة، تلعب دورها الفريسي. فهي لا تهتم بالإنسان، لكنها تهتم بالشريعة. وهي تدافع عن شريعة الله، كما لو كانت شريعة الله، تحتاج لمن يدافع عنها . هؤلاء الفريسيون، هم جماعة تحاول أن تبرز برّها وتقواها ، من خلال الدفاع المزيف عن شرائع كثير منها من صنع البشر.

أمس واليوم وغداً

كانت هذه مشكلات تواجه الكنيسة الأولى. لكنها هي ذات المشكلات التي تواجه كنيسة العصر الحاضر، مع اختلاف مسميات القضايا، والموضوعات، والأطروحات الفكرية.

ولما كانت قضية "الإنجيل والحضارة"، قضية العصر، وهي مطروحة للدراسة اللاهوتية على مستويات متعددة. فهذه الدراسة الكتابية تعتبر الدراسة المركزية، التي تكشف لنا الطريق لدراسة لاهوتية متعمقة.

ونحن نرى كيف واجه الأولون مشكلاتهم، وكيف فهموا الإنجيل من خلالها. وهذا يعاوننا نحن، ونحن ندرس مشكلات المجتمع المعاصر، أن نحاول تفهم دور الإنجيل.

الفصول الكتابية التي تدرس

ترتكز دراستنا في هذا البحث، على قصة كرنيليوس (أعمال الرسل ١٠و١١: ١-١٨)، وقصة مجمع أورشليم الرسولي الأول المنعقد نحو عام ٥٠م (أعمال الرسل ١٥). وسندرسهما بالتفصيل. لعلنا نخرج منهما بالأطروحات، التي تعاوننا في مسيرة اليوم وغداً، ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين.

والكاتب يرجو أن تكون هذه الدراسة مرشداً لدراسات تحليلية أكبر وأشمل، في مجال "الإنجيل والحضارة".

المؤلف

في هذا القسم

صفحة

ملحق -٢

ملحق -١:

قصة كرنيليوس
حلول الروح على الأمم

أخبرنا لوقا في سفر أعمال الرسل بقصة رجل يدعى كرنيليوس، كان يقيم في قيصرية، وما حدث معه، ثم لقاء بطرس وكرنيليوس. ونحن نحاول هنا أن نستعرض الأحداث كما وقعت، مع دراسة تحليلية لهذه الأحداث.

قيصرية

بلدة صغيرة، لا أهمية لها، وذلك قبل دخول الرومان، برغم موقعها الجميل، على البحر المتوسط. دخلها الرومان، ومع الاستعمار الروماني لأرض فلسطين اهتم هيرودس الأكبر بها، لموقعها الرائع. أعاد بناءها. صنع لها ميناء جميلاً على شاطيء البحر. وبالتالي أصبحت مقراً للحاكم الروماني المشرف على اليهودية. وبذلك صارت عاصمة الدولة الرومانية لمقاطعة اليهودية (وهي مقاطعة جنوبي فلسطين). وبذلك صارت قيصرية مدينة هامة جداً، إلي جانب جمال موقعها على شاطيء البحر.

ويزيد من أهمية قيصرية كونها على بعد قرابة خمسين كيلو متراً من أورشليم (شرقها)، وخمسين كيلو متراً من باقي (شمالها).

كرنيليوس

اسم "كرنيليوس" اسم إيطالي، من الأسماء المشهورة وشائعة الاستعمال. أما كرنيليوس، المشار إليه هنا، فهو قائد روماني. ورد لقبه على أنه قائد

مائة. ويرجح البعض أن كتيبته كانت تتكون من مائة جندي، أو من ستمائة جندي، أو من ألف جندي. ويرجح أن كتيبته كلها كانت إيطالية. ففي تلك الأيام، كان يعين في الجيش جنود من جنسيات إيطالية أو - أحياناً- غير إيطالية. لكن هذه الكتيبة كلها، كانت إيطالية.

يتضح من تفاصيل القصة أن كرنيليوس، عمل قائداً لكتيبة إيطالية في قيصرية. ويظهر أن المدينة أعجبته، فنقل أسرته لكي تقيم هناك. فالواضح من (أعمال الرسل ١٠: ٢٤)، أن أنسباءه وأقرباءه كانوا يقيمون في قيصرية. وربما -في ذلك الوقت- كان كرنيليوس قد أحيل إلى التقاعد عندما نقل أسرته للاستقرار الدائم في هذه المدينة.

كرنيليوس واليهودية

يتضح من أحداث القصة، أن كرنيليوس أحب اليهودية. فاليهودية تنادي بإله واحد. كما أن اليهودية تدعو لقيم أخلاقية معينة، بالمقارنة بالمجتمعات المحيطة ودياناتها، فالقيم السلوكية التي تدعو إليها اليهودية، قيم راقية. وربما تكون قد أعجبته العبادة اليهودية. رغم أنه لو دخل إلي هيكل أورشليم، أو مجمع قيصرية، فإنه -رغم وظيفته السياسية- يجلس في المكان المخصص للأمم، وهو مكان خلفي منعزل.

كان كرنيليوس أممياً، غير مختتن، وبالتالي فهو أجنبي عند اليهود.

ورغم حبه الظاهر لليهودية، لكنه لم ينضم إليها. ربما تردد في قبول بعض شرائع اليهود. ففي اليهودية شريعة الختان، وشرائع متعددة في الأكل: ما هو حلال وما هو حرام، وشريعة السبت، وشريعة التعامل مع الغرباء، إلى غير ذلك من الشرائع اليهودية. فالواضح أنه قبل منها البعض ورفض البعض الآخر.

مارس كرنيليوس الصلاة، والصدقة (أعمال الرسل ١٠:٤). فقد كان يصنع حسنات كثيرة للشعب، ويصلي لله في كل مواعيد الصلاة (١٠:٢). ولذا وصفه لوقا بأنه كان تقياً، يخاف الله (١٠:٢). ويظهر أن أفراد أسرته، كانوا يمارسون العبادة، والأعمال الصالحة، مشتركين مع كرنيليوس (١٠:٢). وقد كان رجلاً باراً وخائف الله ومشهوداً له من كل أمة اليهود (١٠:٢٢).

ولعل هذه الظاهرة، توضح لنا أن بعض الأفراد من الأمم، قبلوا اليهودية عامة، ولكن لم يقبلوا الانضمام إليها. كما أن اليهود رحبوا بأولئك، رغم ممارستهم بعض الشرائع، دون غيرها. فلم يشعر كرنيليوس بغضاضة أن يرتبط بمجتمعات اليهود، ولم يشعر اليهود أيضاً بغضاضة أن يكون كرنيليوس مرتبطاً بهم.

رؤيا كرنيليوس

كانت الساعة التاسعة من النهار. فاليهود -في تلك الأيام- كانوا

يقسِّمون ساعات النهار إلي اثنتي عشر ساعة، ما بين شروق الشمس وغروبها. والمقصود بالساعة التاسعة، أنها قبل غروب الشمس بثلاث ساعات. وكانت هذه المواعيد مرتبطة بالصلوات اليهودية اليومية. فالساعة التاسعة من النهار، هي واحدة من مواعيد الصلاة اليومية.

والإشارة إلي الساعة التاسعة، تتضمن القول، بأن الرؤيا التي شاهدها كرنيليوس، كانت في وضح النهار. فعندما ظهر ملاك الله لكرنيليوس، ثار خوف كرنيليوس. فقد كان هذا مفاجئاً له. وكان حديث الملاك له، يعطيه الاطمئنان بأن صلواته وصدقاته صعدت تذكاراً أمام الله. وقد استخدم الملاك تعبيراً يهودياً في الحديث إلى كرنيليوس. "فصعود" الصلوات والصدقات، أمام الله، يرتبط بالذبائح اليهودية، أو بالبخور[1].

ثم طلب الملاك من كرنيليوس، أن يرسل إلي يافا رجالاً، ويستدعي سمعان الملقب بطرس، ليعرّفه ماذا ينبغي أن يفعل. لقد أخبره الملاك بمكان

---

(١) أشار سفر اللاويين (٢:١و٢)، أن تقديم القربان أمام الرب، يُوقد تذكارها على المذبح وقود رائحة سرور للرب. وقد صلى داود قائلاً: "لتستقم صلاتي كالبخور قدامك، ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية" (مزمور ١٤١:٢). واستخدم نفس التعبير، في العلاقات البشرية. فذكر الرسول بولس في رسالته إلى فيلبي (٤:١٨)، أنه قبل هدية فيلبي التي أرسلوها له مع أبفرودتس "نسيم رائحة طيبة، ذبيحة مقبولة مرضية عند الله". وعبّر كاتب الرسالة إلى العبرانيين (١٣:١٥) عن الصلاة، في قوله: "فلنقدم به (أي بالمسيح)، في كل حين، لله، ذبيحة التسبيح، أي ثمر شفاه معترفة باسمه". ثم قال: "ولكن لا تنسوا فعل الخير، والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يُسرّ الله" (عبرانيين ١٣:١٦).

تواجد سمعان بطرس في يافا (١٠:٥ و٦).

كرنيليوس قبل الإيمان

هل يقبل الله صلاة كرنيليوس قبل الإيمان؟ وهل يقبل الله صدقاته؟ أليس كرنيليوس -كما يظهر من القصة- مخلصاً في عباداته؟ أليس الواقع أن كرنيليوس لم يؤمن بالسيد المسيح، لأنه لم يعرف عنه؟ فكيف يتعامل الله مع إنسان لا يعرف؟ ولم تُتح له الفرصة ليعرف؟

لقد كان بطرس قريباً من قيصرية. فما هو وضع مئات أو الاف، أو ملايين- من المخلصين، الذين لا يعرفون، ولا توجد لهم فرصة مشابهة لفرصة كرنيليوس.

انفتح كرنيليوس على الإيمان المسيحي، وإلاَّ فما كانت الرؤيا تتاح له. هناك كثيرون مخلصين -في هذا العالم- لكنهم ليسوا متفتحين فكرياً. فالانفتاح الفكري يرتبط بعوامل عديدة، من داخل الحضارة، والثقافة المتاحة، وأساليب الحياة. فكيف يتعامل الله مع هؤلاء؟ من خلال انفتاح كرنيليوس، أمكنه أن يرى إمكانية الانفتاح على الإيمان المسيحي- حيث أن معلومات عديدة، عن الإيمان المسيحي، كانت قد بدأت تنتشر في كل فلسطين، في ذلك الوقت.

لقد وصف الوحي المقدس كرنيليوس، قبل دخوله الإيمان المسيحي، بأنه

رحلة بطرس

بدأت رحلات الكرازة بالإيمان المسيحي، بعد يوم الخمسين وأحس تلاميذ المسيح ورسله بمسئوليتهم الكبرى، لتوصيل إنجيل المسيح، ورسالته، إلي كل أمم العالم.

ذهب بطرس إلى لُدَّه (أعمال الرسل ٩:٣٢)، وسارون (٩:٣٥)، ثم يافا، وهذه بلاد قريبة جداً من قيصرية. وقد بدأ دخول اليهود إلى المسيحية، كدخول الأمم المقيمين في أرض اليهودية. ولابد أن سمعة بطرس، قد عُرفت في أماكن عديدة.

أرسل كرنيليوس -بحسب الرؤيا- يستدعي بطرس. وكان ذلك في وقت كان بطرس مستعداً أن يعمل كل شيء، لتقديم الإنجيل للجميع.

وفد كرنيليوس لبطرس

دعا كرنيليوس عسكرياً، كان يلازمه، مع خادمين من خدامه. شرح لهم الرؤيا. وأرسلهم للبحث عن بطرس، وإحضاره إليه. يغلب على الظن أنهم ركبوا الخيول للذهاب إلى يافا. ويافا مدينة على بعد نحو خمسين

(اي ظهر اليوم التالي).

غيبة بطرس

قبل وصول وفد كرنيليوس بقليل، كان بطرس فوق السطح، في البيت الذي كان موجوداً فيه. وكان بطرس جائعاً واشتهى أن يأكل (أعمال الرسل ١٠:١٠). وهنا وقعت عليه غيبة فرأى:

إناءً نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف، ومدلاة على الأرض، فيها من كل الدواب والوحوش والزحافات والطيور، وصار صوت يقول له قم يا بطرس "اذبح وكل". وهنا يتردد بطرس: "لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً".فيتكرر القول لبطرس ثلاث مرات: "اذبح وكل".. ثم قال الصوت له: "ما طهره الله لا تدنسه أنت" ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء" (١٠:١١-١٦).

كان بطرس يرتاب في نفسه، ما معنى هذه الرؤيا؟ وما هو المقصود بها؟ (١٠:١٧). وهنا طرق باب البيت الوفد القادم من طرف كرنيليوس، يسألون عن سمعان الملقب بطرس.

لما سألهم بطرس عما يريدون، أفادوه بدعوة كرنيليوس له. ففهم بطرس، بأكثر وضوح، المعنى المتضمن في الرؤيا التي رآها.

وصف كلفن غيبة بطرس، بأنها انطلاقة فكره إلى أفق آخر. وفي هذه الانطلاقة، رأى بطرس فكراً متجدداً، يحمله إلى رسالته المستقبلية.

شريعة الحيوانات عند اليهود

وضعت اليهودية شريعة للحيوانات والطيور، ما هو طاهر منها ، وما هو غير طاهر (لاويين ١١). وقد التزم بطرس بهذه الشريعة كيهودي. فلم يأكل من الحيوانات الدنسة أو النجسة، التي جاء ذكرها في الشريعة. والنجاسة، التي يشار إليها هنا ، نجاسة طقسية. فالنظم اليهودية الطقسية، هي التي اعتبرتها نجسة أو دنسة.

كان بطرس جائعاً ، وكان يشتهي أن يأكل (١٠: ١٠) لكن الصوت قال له: "اذبح وكل". واعتبر بطرس هذه الرؤيا إعلاناً له من الله. لقد كانت الرؤيا هجوماً شديداً على الشريعة الموسوية وطقوسها.

وكان صوت الله إلى بطرس أن "ما طهره الله، لا تدنسه أنت" (١٠:١٥). أو بمعنى أوضح، أن "ما طهره الله، لا تدنسه الشريعة اليهودية" أو "ما طهره الله، لا يدنسه موسى". فسلطة الله أعلى من سلطة موسى والشريعة اليهودية. والله أعظم من أي قوانين أو شرائع بشرية، أياً كانت، ومهما كانت.

لقد خلق الله الحيوانات والبهائم والدبابات والزحافات والوحوش وكل

أنواعها (تكوين ١: ٢٤). فكيف يتحول الأمر، لدعوة ما خلقه الله أنه نجس؟ وفي هذا القول إلغاء شامل لكل شريعة اليهود بما جاء عن الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة.

إلاّ أن قصد الرؤيا أبعد من ذلك بكثير. فقد كان الاتجاه عند اليهود، أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن الأمم ليسوا شعباً لله. فاليهود طاهرون، والأمم غير طاهرين. وصوت الله يقول: "ما طهره الله لا تدنسه أنت". فالأمم، كلهم، خليقة الله. ليسوا دنسين. فهم -رغم أنهم غير مؤمنين- لكنهم ليسوا نجسين ولا دنسين. فهم خليقة الله.

فالتفرقة بين شعوب العالم، على أساس أن هؤلاء أبرار والآخرون دنسون، تفرقة لا يقبلها الله. فلقد خلقهم الله، ولا يجوز لأحد أن يتهمهم بالنجاسة. قال بطرس: "فقد أراني الله، أن لا أقول عن إنسان ما، أنه دنس أو نجس" (١٠: ٢٨).

انفتاح ذهن بطرس

عاش بطرس مع المسيح سنوات خدمته. فبطرس يأتي من بيئة بسيطة، ومن مجتمع متواضع، ومن ثقافة علمية متواضعة. لكن معيشته مع المسيح، فتحت أمامه أبواب الفكر المتسع علي مصراعيها. سمع بطرس السيد المسيح، وتعلم منه مباشرة.

وكانت ثورة المسيح ضد بعض النظم الطقسية اليهودية، ثورة عارمة. فما يدخل الفم لا ينجس الإنسان. أما الذي ينجس الإنسان، هو ما يصدر منه، ومن أعماله وأقواله. لقد فهم بطرس المسيح تماماً. فالنجاسة الطقسية خرافة، يلزم توقعها. ولا نجاسة تلوم الإنسان سوى أعماله. أما الإنسان، في حد ذاته، لا يعتبر دنساً أو نجساً، بسبب جنسه أو لونه أو دينه.

قابل السيد المسيح قائد مئة، وقال عنه: "لم أجد ولا في إسرائيل، إيماناً بمقدار هذا (متى ٨: ١٠). شهد المسيح بإيمان قائد المئة، رغم عدم وجود دليل على أن هذا القائد قد آمن بالمسيح. فقد كان إيمانه مرتبطاً بقدرة المسيح على شفاء ابنه.

وقابل السيد المسيح المرأة الكنعانية (متى ١٥:٢١-٢٨، مرقس ٧:٢٤-٣٠). قال لها المسيح: "ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين (أي اليهود) ويطرح للكلاب (أي للأمم)". فقالت له: "نعم ياسيد، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها". فقال لها يسوع: "يا امرأة، عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين".

لقد شاهد بطرس، وهو يعيش قرب يسوع المسيح، الحواجز المصطنعة، التي حرمت الناس من المسيح، دون سبب حقيقي أو جوهري. ورأى بطرس كيف يواجه هذه الحواجز. فلابد من إسقاط كل الحواجز التي تتوسط بين

الله والناس، ليكون الطريق إلى الإيمان مفتوحاً أمام الجميع.

هذه نماذج راقية من معاملة المسيح للأمميين. وفي الحالتين المذكورتين أعلاه، لا يذكر الكتاب أن أحداً منهما آمن بالمسيح، لكنهما آمنا أنه قادر أن يشفي مرضاهما. وقد شفى مرضاهما فعلاً. لكن المسيح في الحالتين، امتدح إيمانهما.

لقد تعلم بطرس من المسيح أن يحترم الأمم، غير اليهود. وأن يعاملهم معاملة طيبة، وأن لا يتهمهم بالنجاسة أو الكفر. فليس من حق أحد أن يدين بشراً ويحكم عليه في إيمانه.

لقاء بطرس وكرنيليوس

دعا بطرس ضيوفه، أن يقيموا حيث يقيم هو في المساء. وقد عرف الإخوة في يافا عن الوفد القادم إليهم من قيصرية. واتفقوا على تكوين وفد من الإخوة في يافا، يرافق بطرس في دخوله إلى قيصرية، وذهابه إلى كرنيليوس. واختار الإخوة في يافا ستة أشخاص لهذا الغرض (أعمال الرسل ١١:١٢). وبذلك صارت القافلة تتكون من: وفد كرنيليوس (من ثلاثة أشخاص)، ووفد إخوة يافا (من ستة أشخاص)، وبطرس. وفي الصباح تحرك العشرة من يافا، في اتجاه قيصرية، حتى وصلوا إليها وذهبوا إلى بيت كرنيليوس.

دعا كرنيليوس أنسباءه وأصدقاءه الأقربين، ليكونوا في انتظار بطرس (١٠:٢٤). وعندما وصل بطرس، انحنى كرنيليوس تقديراً له (١٠:٢٥). ورفض بطرس الانحناء، قائلاً: "أنا أيضاً إنسان" (١٠:٢٦).

في هذا اللقاء، نجد مجموعة مارست الطقوس اليهودية، ومنها الختان، وهم: بطرس، وستة أشخاص من إخوة يافا. ومنها نجد مجموعة أممية، لم تختتن، وهم كرنيليوس وكل الباحثين من أهله وأصدقائه من قيصرية.

كرنيليوس أممي، موظف روماني كبير، من أعيان المجتمع، رجل قوات مسلحة محترف. أما بطرس، فهو يهودي، ليس له مكان رسمي في المجتمع، صياد سمك أصلاً، تابع لنجار من الناصرة اسمه يسوع. وكانت دعوة الله هي التي جمعت الاثنين. كرنيليوس يريد إطاراً رسمياً دينياً، ينتمي إليه، وبطرس يقدر أن يعطي هذا الإطار.

لسنا نعرف ما هي اللغة التي استخدمها بطرس في حواره مع كرنيليوس. فهل تحدث بطرس باليونانية؟ أم أنه تحدث بالأرامية، وترجم له أحد الحاضرين إلى اليونانية؟

رأى بطرس الفرصة سانحة، ليتحدث عن رسالة الإنجيل بوضوح، ويعلن رأيه في دخوله إلى بيت الأممي. وقد كان الواضح، في ذلك الوقت، أن المسيحية لا تزال طائفة يهودية، آمنت برسالة السيد المسيح.

خطاب بطرس

كان خطاب بطرس من شقّين:

(١) تمهيد (أعمال الرسل ١٠:٢٨ و٢٩)

(٢) الإنجيل (أعمال الرسل ١٠:٣٤-٤٣)

وبعد التمهيد، تحدث كرنيليوس عن سبب دعوته لبطرس. ويغلب على الظن أنّ حديث بطرس كان أشمل من ذلك بكثير. لكن لوقا، قدم مختصراً لما قاله بطرس.

كان التمهيد قاسياً. لكن بطرس أراد أن يبرر أمام الموجودين من اليهود المؤمنين بالمسيح، السبب الذي دفعه أن يدخل بيت الأممي. مما يخالف نظم الشريعةِ اليهودية. قال بطرس:

"أنتم تعلمون،

كيف هو محرّم على رجل يهودي،

أن يلتصق بأحد أجنبي

أو يأتي إليه

وأما أنا، فقد أراني الله،

أن لا أقول عن إنسان ما

أنه دنس أو نجس" (١٠:٢٨).

وكان إعلان بطرس واضحاً. وكان ممارسة عملية لما قاله بولس في رسالته إلى أفسس: أن المسيح نقض حائط السياج المتوسط، مبطلاً العداوة (أفسس ٢: ١٤). فالأمم شركاء الخلاص، وشركاء الدعوة الإلهية (أفسس ٣:٦ و٩). والسيد المسيح هو رب الكل. (أعمال الرسل ١٠:٣٦). وقد كان إعلان بطرس مرتبطاً بما رآه.

وهنا أخبرهم كرنيليوس برؤياه، التي كانت سبباً في دعوة بطرس إليه. وامتدح كرنيليوس بطرس لأنه لبى الدعوة وجاء إليه، ودعا بطرس ليتحدث إلى الموجودين، ممن دعاهم (أعمال الرسل ١٠: ٣٠-٣٣). وقد وضح كرنيليوس الفرق بين من تحدث إليه في الرؤيا، وبين الله. فالذي تحدث إليه لم يكن الله، بل ملاك الله، أو رجل من قِبَل الله (١٠: ٣٠).

تحدث بطرس. وفي مقدمة حديثه عاد مرة أخرى إلى الترحيب بالأمم، وعدم اتهامهم، وعدم الحكم عليهم. فقال بطرس: "إن الله لا يقبل الوجوه". فرض الله على الناس، لا يرتبط بكونهم يهوداً أو غير يهود. بل في كل أمة، الذي يتقيه، ويصنع البر، مقبول عنده" (١٠:٣٤ و٣٥).

ثم تكلم بطرس عن السيد المسيح، مشيراً إلى حياته، وخدمته، وصلبه،

وموته وقيامته. وأكد القيامة. فهو والرسل شهود القيامة (١٠: ٤١). وأعلن أن من يؤمن باسمه ينال غفران الخطايا (١٠: ٤٧). كما أعلن أنه رب الكل (١٠: ٣٦).

حلول الروح القدس على الأمم

وبينما يتحدث بطرس، حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة (أعمال الرسل ١٠: ٤٤). وكانوا يتكلمون بألسنة، ويعظمون الله (أعمال الرسل ١٠: ٤٦).

وهنا أحس بطرس برضا الله عن ما يحدث، بدليل انسكاب الروح القدس. فالله راض عن الأمم. وكان هذا الحلول دليلاً على انفتاح الدعوة لخدمة الأمم، ودعوتهم إلى إنجيل المسيح. وهنا أعلن بطرس، أنه لابد من معمودية الموجودين. فعمّدهم.

فالمؤمنون من أهل الختان (أي وفد يافا)، لما رأوا حلول الروح اندهشوا (١٠: ٤٥). فالمشهد أمامهم، هو نفس المشهد الذي حدث يوم الخمسين، وتكرار له. وذلك مع الفرق بين المناسبتين. كان يوم الخمسين (أعمال الرسل ٢) لليهود، وكانت فيه دعوة للسامعين للتوبة. أما هذا الحلول فهو للأمم، والموجودين كانوا معدّين للإيمان بالمسيح. وبذلك كان واضحاً، أن الله، من خلال حلول الروح في قيصرية، فتح الباب على مصراعيه للأمم،

لقبول الإنجيل.

هل تحاكم أورشليم بطرس؟

طلب أهل قيصرية من بطرس أن يبقى معهم أياماً. وغالباً تجاوب مع رغبتهم (١٠:٤٨). ولا شك، أن هذه الفرصة أعطته المجال المناسب، لنشر الدعوة.

ثم بدأ بطرس رحلته إلى أورشليم، ولا شك أنه استخدم كل فرصة ممكنة لإعلان إنجيل المسيح. وقد كان بطرس سعيداً. فلقد أعطاه الله أن يكون أول من يفتح باب الدعوة للأمم. وأنه من خلال رسالته، حلَّ الروح القدس على الأمم.

وصل بطرس أورشليم. وكانت أخبار قيصرية قد سبقته إلى هناك. وكانت ردود الفعل في كنيسة أورشليم، كردود الفعل التي تحدث اليوم في المجتمعات الكنسية تماماً. لقد دخل الأمم إلى الإيمان المسيحي. لقد غيَّر الإنجيل المجتمعات المتنوعة. لقد أقبل أهل الأمم إلى إنجيل المسيح. لكن الإخوة، الذين من أهل الختان (أي الذين من أصل يهودي)، خاصموا بطرس. فكيف يدخل بطرس إلى بيت أممي غير مختتن؟ (١١:٢). وكيف يأكل بطرس مع أناس غير مختونين (١١:٣). أخبرهم بطرس بكل ما حدث بالتفصيل. واهتم بأن يبرز رؤياه هو، ورؤيا كرنيليوس، ثم حلول

الروح القدس. ثم قال بطرس:

"إن كان الله،

قد أعطاهم الموهبة،

كما لنا أيضاً بالسويَّة،

مؤمنين بالرب يسوع المسيح،

فمن أنا ؟

أقادر أنا أن أمنع الله؟" (١١:١٧)

فالذين اعترضوا على الرسول بطرس، كانوا من المتطرفين من اليهود ، الذين يهمهم تطبيق حرفيات النص، ومن المعنى والمحتوى. والذين يهتمون بالشكل دون الجوهر.

وكان الأحرى بهؤلاء، أن يتعلموا من السيد المسيح، ذاك الذي لم يعتزل عن المجتمع، لكنه اندمج فيه، دخل بيت الفريسي، ووقف مع الزانية، ولم يمنع نفسه عن اللقاء مع أحد. ولم يتهم أحداً ولم يحكم على أحد بالكفر والشر والفساد ، لكنه رحب بالجميع، وأحب الجميع.

خاتمة

قصة كرنيليوس تجسد لنا قضايا عديدة. ولعله جدير بالذكر، أن كرنيليوس لم يُطلب منه الختان، ولا التهود. ربما كانت فكرة دخول أشخاص من الأمم إلى الإيمان المسيحي، فكرة جديدة. ولم تتبلور المشكلة بعد. ولعل انبهار المؤمنين بالمسيح من اليهود، بدخول أممي، من مجتمع الرومان، أنساهم التفكير في تفاصيل أخرى. ولكن عندما زاد عدد الوافدين من الأمم إلى المسيحية، تطورت الفكرة، وبدأ الصراع.

ولعل لوقا، كاتب سفر الأعمال، أراد أن يقدم بطرس الرسول، على أنه أول من عرف بواسطته أممي طريقه إلى الإيمان المسيحي. وحيث حلَّ الروح القدس على الأمم. رغم أن هذه الدعوة كانت على أرض اليهودية. فقيصرية، مدينة يهودية.

ملحق -٢:

مجمع أورشليم الرسولي الأول

نحن نتابع مع لوقا، بعض الأحداث الهامة، التي حدثت في الكنيسة الأولى، لكي نرى معاً إنجيل المسيح، وهو ينتشر في مجتمعات لها حضارات متنوعة. ونتابع معه أيضاً الصراع الفكري، بين قيادات الكنيسة الأولى، لعلنا نكتشف الأسباب الحقيقية للصراع، وكيف حسمت الكنيسة الأولى هذه الصراعات.

في المجمع الرسولي الأورشليمي الأول، حسمت الكنيسة صراعاتها الأولى. ويسجل لنا لوقا، في الفصل الخامس عشر، من سفر أعمال الرسل، رحلة هذا المجمع: كيف تكون؟ ممن تكون؟ ما هي القضايا التي ناقشها؟ وما هي القرارات التي صدرت عنه؟. ولعلنا نحتاج أن نتابع، هل هذا المجمع نموذج لما يمكن أن يحدث اليوم؟ وهل القضايا التي نوقشت في المجمع الأول، لا تزال مطروحة على ساحة الحوار والدراسة اليوم؟ وهل قرارات المجمع الأول مُلْزِمة لنا اليوم؟

ظهور بولس وعلاقته ببرنابا

شاهد بولس السيد المسيح في طريق دمشق (أعمال الرسل ٩:٣-٦). ثم ظهر الرب لحنانيا، وكلفه بالذهاب إلى شاول، لتشجيعه. فانطلق شاول متحدثاً عن المسيح بقوة في دمشق (٩:٢٣). ولكن التلاميذ كانوا لا يزالون يخافونه، غير مصدقين أنه آمن بالمسيح. وكانوا يخشون أن تكون

ثمة حيلة ماكرة للإيقاع بهم.

وهنا لعب برنابا دوراً رائعاً، إذ أحضر بولس إلى التلاميذ، وقدمه إليهم، وحدثهم عن رؤيا بولس في طريق دمشق (٩: ٢٧) فبدأ التلاميذ يطمئنون للتفاعل معه.

وكانت هناك محاولات للإيقاع ببولس، وقتله. وكانت آخرها محاولة اليونانيين للتخلص منه، ونجح الإخوة في تهريب بولس إلي قيصرية، ومنها إلى طرسوس.

وكان برنابا يعمل مع الأمم. وصل برنابا إلى أنطاكية (أعمال الرسل ١١: ٢٢). وكان لعمله ثمر كثير. ثم ذهب برنابا إلى طرسوس، وأحضر شاول معه إلى أنطاكية (١١: ٢٥) واستمرا يعملان في أنطاكية عاماً كاملاً (١١: ٢٦). وعله جدير بالذكر أن التلاميذ دعوا مسيحيين في أنطاكية أولاً (١١: ٢٦).

وفي ضوء ترتيب الأحداث في سفر أعمال الرسل، فقصة تواجد بطرس في قيصرية، وحدث الامتلاء بالروح القدس هناك، كان سابقاً لإقامة بولس وبرنابا في أنطاكية، وكان لاحقاً لتجديد شاول، وإيمانه بالمسيح.

مكان يعقوب أخو الرب

يعقوب أخو الرب، يهودي الأصل، ناصري (أي أنه من ناصرة الجليل).

كان تقياً جداً، ومتعبداً. عرف عنه أنه "العادل"، كما عرف عنه أنه رجل صلاة. كتب عنه أحد المؤرخين في عام ١٠٠م، أنه لم يحلق شعره، ولم يشرب خمراً، ولم يأكل لحماً.

لم يؤمن يعقوب أولاً بالمسيح. ولعله كان مع إخوة يسوع، مع أمهم مريم، عندما طلبوا يسوع. حيث دعاه إخوته للذهاب معهم في العيد إلى أورشليم، ولكنه اعتذر عن عدم الذهاب، لأنه لم يرد الصدام في وقتها (يوحنا ٧:٢-٩).

آمن يعقوب بالمسيح. ظهر له المسيح بعد القيامة (كورنثوس الأولى ١٥:٧). كان شيخاً متقدماً (غلاطية ١:١٩). كتب "سفر يعقوب" و "سفر أعمال يعقوب"، وهي من أسفار الأبوكريفا (المحذوفة).

لم يكن لكتابات يعقوب شأن عظيم، لكنه كان قائداً عظيماً. كان مركزه أورشليم. وأورشليم في ذلك الوقت -كانت قاعدة المسيحية الأولى (أعمال الرسل ٢٢:١٧). عندما كتب يهوذا رسالته، قدم نفسه على أنه أخو يعقوب (يهوذا: ١).

عندما جمع الإخوة تبرعات من كنائس أخائية ومكدونية وغلاطية، ذهب بولس إلى أورشليم، وقدم المساهمات ليعقوب أخي الرب. وعندما ذهب بولس إلى العربية ليكرز، عاد إلى أورشليم، وزار يعقوب أخا

الرب، ليقدم له تقريراً عما حدث (غلاطية ١:١٧-١٩).

كتب يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعروف أن يعقوب دُعي إلى مجمع السنهدرين، وهناك حُكِّم عليه بالرجم حتى الموت.

المسيحية الأولى اتجاه متجدد داخل اليهودية

حتى اجتماع المجمع الأورشليمي الرسولي الأول، كانت المسيحية، فرعاً من اليهودية. وكانت تعتبر اتجاهاً متجدداً داخل اليهودية. ولم تكن ديناً جديداً بعد. واستمرت المسيحية كذلك حتى بعد المجمع الرسولي الأورشليمي الأول بقليل.

ونحن نرى حجة ذلك من أدلة عديدة في العهد الجديد. فبولس الرسول -مثلاً- دخل مع الناس، وتطهر معهم حسب شريعة موسى. ولما دخل الهيكل، أخبر بكمال أيام التطهير اليهودية (أعمال الرسل ٢١:٢٦). وتيموثاوس، وهو يوناني، وأبوه يوناني (أعمال الرسل ١٦:٣)، ختنه بولس من أجل اليهود. وفي ذلك الوقت كان "الارتداد عن موسى" تهمة خطيرة في الكنيسة (أعمال الرسل ٢١:٢١).

مكانة الرسول بولس قبل المجمع الرسولي الأول

كان بولس في بداية خدمته غير معروف، كان يحتاج أن يقدمه يعقوب

(أعمال الرسل ١٥: ٢٥ و٢٦). كان برنابا معروفاً أكثر من بولس، وكان قائداً في الكنيسة عندما بدأ بولس رسالته. كان بطرس أيضاً قوياً، عندما حمل بولس رسالته في بدايتها.

بدأ بولس عمله من أنطاكية، التي صارت المركز الأول للكرازة بين الأمم. وكانت أنطاكية مركزاً للعمل الذي امتد في سوريا وكيليكية وغلاطية وآسيا الصغرى. وقام بولس برحلته الكرازية الأولى، والتي امتدت إلى قبرص، وبمفيلية، وغلاطية.

ورغم أن كرنيليوس، كان يعتبر أول أممي يتعمد، لكن كرنيليوس كان أممياً، يعيش على أرض يهودية. لكن أنطاكية أصبحت بجدارة المركز الرئيسي الأول للمسيحية الأممية. وكما سبق أن ذكرنا، سمي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً. معنى ذلك، أنه من هناك، انطلقت المسيحية ديناً جديداً متميزاً عن اليهودية، ومنفصلاً عنها.

كان بولس قوياً في أنطاكية. لكن يعقوب كان قائد المسيحيين عموماً، وكانت أورشليم مقراً له. كان بطرس قوياً في أورشليم، وفي اليهودية، لكنه لم يكن قوياً في مكانته في أنطاكية.

هل ينادى بالمسيح بين الأمم؟

كانت دعوة الأمم إلى إنجيل المسيح المشكلة الأولى التي اعترضت

طريق الكرازة. ولكنها حسمت سريعاً. فما حدث مع بطرس في قيصرية، رحبت به الكنيسة. رغم أن بعض الكارزين الأوائل، قصَروا كرازتهم بالمسيح على اليهود فقط (أعمال الرسل ١١:١٩). ولكن بطرس أقام ثورة عارمة، بدخول كرنيليوس وأهله وأصدقائه إلى الإيمان المسيحي. ثم بدأت الكرازة بوضوح بين الأمم. وكان برنابا أول من ذهب إلى أنطاكية، ثم واصل المسيرة معه بولس.

وبعد ذلك، لم تطرح هذه المشكلة قط. فقد كان واضحاً أن السيد المسيح جاء في أرض اليهودية، لكنه لم يأت لليهود فحسب، بل للعالم أجمع. وكان واضحاً أن رسالة السيد المسيح للخليقة كلها. فالفداء من أجل الجميع، وطريق الخلاص مفتوح للجميع.

هل التهود هو الطريق للمسيحية؟

برزت هذه المشكلة نتيجة دخول الأمم إلى المسيحية. فالذين آمنوا من اليهود، كانوا أصلاً يهوداً، ثم دخلوا المسيحية. لكن الأمم، لم يكونوا يهوداً. فهل يشترط على الأممي، أن يطبق الشرائع اليهودية، والتي أهمها شريعة الختان، لكي يصبح مسيحياً؟

كان ضمن الذين دخلوا الإيمان المسيحي من اليهودية، بعضاً من الفريسيين. والفريسيون ناموسيون وطقسيون، يهتمون بالشريعة، ويرتبطون

بها. وهم حرفيون. أثاروا هم، وغيرهم، قضية التهود، شرطاً للإيمان المسيحي.

ولم يكن واضحاً، ما هو المطلوب في التهود؟ فالشرائع اليهودية عديدة: هناك شرائع أخلاقية، وشرائع طقسية. فهناك نظم تمس الملبس، والمأكل. نظم لذبح الحيوانات. نظم تختص بالخدمة، وبالأطفال، ومعاملة الغرباء، إلى غير ذلك. ويقف في مقدمة الشرائع، ختان الرجال.

فالختان -عند اليهود- هو علاقة عهد أبدي بين الله وشعبه. ولا يجوز قط الإقلال من أهمية الختان.

وفد أورشليم في أنطاكية

ذهب وفد من أورشليم إلى أنطاكية. ووفد أورشليم يمثل "أهل الختان". فكلهم يهود آمنوا بالمسيح. وأنطاكية مركز للأمميين، الذين آمنوا بالمسيح. طالب وفد أورشليم المسيحيين في أنطاكية بضرورة الختان، حسب شريعة موسى، كطريق للخلاص (أعمال الرسل ١٥:١).

لسنا ندري من هو هذا الوفد؟ ومن أرسله؟ هل ذهبوا من أنفسهم؟ هل يظنون أنهم يعرفون الإيمان أفضل، فأرادوا أن يفسروا الحق لأهل أنطاكية؟ وهل اعتقادهم بصواب فكرهم، يرجع لأنهم أصلاً كانوا يهوداً؟

كان المؤمنون في أنطاكية في سلام حتى جاء وفد أورشليم، فقد حدث حوار حاد في أنطاكية نتيجة لهذه الزيارة (أعمال الرسل ١٥:٢).

وجدير بالذكر، أن مجموعة أورشليم اختفى ذكرها بعد هذه الزيارة. فلسنا ندري ماذا حدث لهم؟ وأين ذهبوا؟ غالباً عادوا إلى أورشليم؟ إلاّ أنه لم ترد إشارة أخرى إليهم في العهد الجديد.

وفد أنطاكية لأورشليم

نتيجة ما حدث، وكرد فعل لزيارة وفد أورشليم المفاجيء إلى أنطاكية، شكلت كنيسة أنطاكية وفداً لزيارة يعقوب في أورشليم للتشاور في هذه المشكلة. اختارت أنطاكية، بولس وبرنابا وتيطس (غلاطية ٢:١) مع بعض الإخوة من الكنيسة للذهاب إلى أورشليم، للتشاور مع الرسل والمشايخ هناك.

كان ذلك بعد مضي ١٤ عاماً على خدمة بولس الرسول (غلاطية ٢٠:١). فالواضح، أن خدمة بولس امتدت وانتشرت، ووصلت أماكن عديدة. فماذا حدث؟ نحن لا نعلم على وجه اليقين ترتيب الأحداث التاريخية. فإن لوقا، كانت تهمه الخدمة، ونتائجها أكثر من أي شيء آخر. ولعله أهمل الدخول في تفاصيل دقيقة في ترتيب الأحداث التاريخية، لكي لا تضيع أهمية الرسالة.

وهنا نتساءل: أين كانت أورشليم كل تلك الفترة، التي قضاها بولس

وبرنابا في خدمة الأمم؟ هل كانت أورشليم بعيدة عن أخبار أنطاكية، وما يحدث فيها؟ هل علمت أورشليم وسكتت؟ لماذا لم تحدث زيارة وفد من أورشليم لأنطاكية قبل ذلك؟ وهل هذه الزيارة وحدها، هي سبب تشكيل وفد أنطاكي لزيارة أورشليم؟ أم أن وفد أورشليم لأنطاكية كان وفداً رسمياً، وكان لابد لأنطاكية أن تتجاوب بإرسال وفد آخر لإقامة الحوار؟

كل هذه أسئلة مطروحة للفكر. وليست هناك إجابة واضحة في نص العهد الجديد، توضح الجوانب العديدة لهذا الحدث التاريخي.

يحدثنا الرسول بولس (غلاطية ٢:١)، أنه اختار -ضمن من اختار- تيطس ليكون ضمن الوفد الذاهب إلى أورشليم. وتيطس أممي، غير مختتن، دخل الإيمان المسيحي (غلاطية ٢:٣). ومن الإخوة الذين ذهبوا، مع الوفد، ربما أفراد من كيليكية ومن غلاطية.

زار وفد أنطاكية فينيقية والسامرة في طريقهم إلى أورشليم. وأخبروا في كل مكان بعمل الله العظيم مع الأمم.

المحافظون والمتحررون في مجمع أورشليم

تمثلت في المجمع الرسولي الأول -في أورشليم- كنيسة أورشليم، وكنيسة أنطاكية. كان التمثيل محدوداً بهاتين الكنيستين فقط. لكن قرارات المجمع كانت للكنيسة العامة كلها في عصرهم.

كانت القضية المطروحة للدراسة هي: هل يجوز دخول الأمميين إلى المسيحية مباشرة؟ أم يلزم دخول المسيحية من خلال شريعة موسى؟ وهل يلزم ختان الذكور الذين يقبلون المسيحية من الأمم؟

فريق أورشليم نادى بضرورة تطبيق الشريعة الموسوية لمن يؤمنون بالمسيحية. هؤلاء كانوا أصلاً يهوداً، وآمنوا بالمسيحية. فهم أصوليون، محافظون.

وفريق آخر، هو فريق أنطاكية، نادى بأسلوب جديد للإيمان المسيحي، ورفض شريعة موسى، هؤلاء متحررون.

الأصوليون، المحافظون، أطلق عليهم الرسول بولس "الذين هم من الختان" (غلاطية ٢٠:٢١). فهم اليمين المتطرف، باستخدام التعبير السياسي المعاصر.

بعض الأصوليين، كانوا أصلاً من الفريسيين اليهود، الذين اهتموا بالمحافظة على شريعة موسى، بنصها الحرفي. وبعضهم من غير الفريسيين.

في نظر الأصوليين المحافظين: المسيح يهودي، من نسب يهودي. يسوع اختتن كعادة اليهود. دخل يسوع الهيكل، واشترك في الاحتفالات والمناسبات اليهودية، اشترك في وليمة الفصح.

وفي نظرهم أن السيد المسيح جاء لا لينقض الشريعة، بل ليكملها (متى ٥:١٧). والشريعة تنص على اختتان الأولاد (أعمال ٢١:٢٢). وهم يعتقدون أنه لا خلاص بدون موسى، والارتداد عن شريعة موسى تهمة خطيرة (أعمال الرسل ٢١:٢١). فشريعة موسى، كانت تحتوي القانون الأدبي والقانون الطقسي للشعب لقرون عديدة. فالشريعة اليهودية -في شمولها لعادات ونظم- ترتبط بالطعام والمعيشة والحياة الاجتماعية، هي حضارة اليهود مرتبطة بدين اليهود. وعند اليهود، من الصعب أن تميز بين الدين والحضارة.

وعبر سنوات طوال، ارتبطت الشريعة بحياة الشعب، فأنشأت الأمة اليهودية، فهي "مجتمع" متماسك، "ودولة" نظامية. ولأن الحضارة، صارت شريعة دينية، فتقدست الحضارة بصورة غير عادية- فنظام ذبح البهائم بحسب الشريعة اليهودية، ممارسة دينية- ونظام المأكل شريعة دينية. وهناك نظم للمجلس، والحياة الاجتماعية، وممارسات يوم السبت، كلها شرائع دينية. فتحولت عند اليهود النظم الاجتماعية إلى شرائع دينية.

فالمحافظون يتبعون الشريعة. يتحدثون كثيراً عن الحلال والحرام، ومعظم الحلال والحرام عندهم نظم اجتماعية، لا علاقة لها بالإيمان. فكل الحديث عن ملابس المرأة -على سبيل المثال- يعطونه مسحة دينية، وهو لا يزيد عن كونه "حضارة مجتمع".

من هنا كان الأصوليون المحافظون نموذجاً للتعصب الجامد، الذي ينبع من كبرياء روحية. فيظن الأصوليون أنهم هم وحدهم الحق، ولا يعرف الحق سواهم، كما يظنون أنهم استحوزوا على الله، واستحوزوا على الحق لأنفسهم.

أما المتحررون، فهم بولس وبرنابا وبطرس وآخرون. في نظرهم أن كثيرين من الأمم تجددوا، ودخلوا المسيحية. والروح القدس حلَّ على الأمم في قيصرية. والروح القدس عمل في المؤمنين من الأمم، كما عمل في المؤمنين من اليهود دون تفرقة (أعمال الرسل ١٥:٨ و٩). والشريعة الموسوية ثقل على كاهل الناس لا داعي له (أعمال الرسل ١٥:١٩).

في نظر المتحررين، أن المسيحية تقدم نعمة الله، ولا تقدم شريعة ما. فلا شريعة في المسيحية. فالشريعة وضعت من أجل الإنسان، لا الإنسان من أجل الشريعة. وأنه لابد للمسيحي أن يزيد بره عن البر الطقسي للكتبة والفريسيين. والمسيحية لا ترتبط بقيود شريعة، لكن المسيحية تؤمن بحرية الإنسان الذي يختار طريقه. فالإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس (الشريعة)، بل بإيمان يسوع المسيح (غلاطية ٢:١٦).

فبينما تمسك المحافظون بالقديم دون تفكير، وضع المتحررون سياسة إيمانية جديدة تتناسب مع العصر، ومع تحديات المجتمعات الجديدة التي

دخلتها المسيحية. وبينما يتمسك الأصوليون بحرفيات قديمة، لم تصلح في عصرها، وبالتالي لا تصلح حالياً، يتمسك المتحررون -بإرشاد روح الله- بالبحث عن حلول جديدة، ووسائل جديدة للعمل الإيماني.

ولما كانت الأصولية، تديين للحضارة، فحدثت مشكلات عديدة في المجتمع الكنسي. تعالى اليهود على الأمم، واستمر تقدير الرجل فوق المرأة، حتى نادى بولس بأنه لا فرق بين يهودي ويوناني، ولا فرق بين ذكر وأنثى في المسيح يسوع (غلاطية ٣:٢٨). فالكل جسد واحد، هو جسد السيد المسيح (أفسس ٤:١٠-٦).

ولابد لنا أن نلاحظ أن المحافظين والمتحررين مخلصين في اتجاهاتهم، والكل يتمسكون بالإيمان بالسيد المسيح. لكن الفرق هو في الرؤية والأفق الفكري والفهم الحضاري. فالمتحررون أكثر انفتاحاً لمواجهة العصر، والمجتمع، والتأقلم، دون التنازل عن القيم الأساسية.

الأكل مما ذبح للأصنام

هذه مشكلة أخرى، كانت مطروحة على الساحة. فكل البهائم على أرض اليهودية، عندما تذبح، تذبح طبقاً للشريعة الموسوية. فعندما يأكلون منها، فهي طاهرة. أما الذبائح التي تذبح على أرض أممية، فهي مذبوحة على اسم الإله الوثني الذي تعبدوا له. فمثلاً، حيث عبد الناس أرطاميس،

كانت الذبائح تذبح على اسمها. وعندما يأكل الناس من هذه الذبائح، كانوا يعتبرون أن الأكل جزء من ممارسة الدين والعبادة.

فالمشكلة اليهودية، حولت الممارسات المجتمعية، من طعام وملبس وغيرهما، لتكون ممارسات دينية. لم تكن هذه المشكلة بعيدة عن الديانات الأخرى. فالواقع أن اليهودية أخذت بعضها من المجتمعات المحيطة بها.

ولما كان الدين، عند أمة اليهود، يرتبط بالنظم السياسية والمجتمعية للشعب كله، فغالبية الممارسات الدينية كانت حضارية، واعتبروها ديناً. هكذا كانت الديانات الأخرى الموجودة في غالبية مجتمعات العالم.

فعندما آمن أناس من الأمم، ودخلوا إلى المسيحية، كانوا مجربين. فإن أكلوا من اللحم المذبوح للآلهة الوثنية، فقد ينجرفون في تيار العبارات القديمة، التي تشدهم خارج الإيمان المسيحي، فيرتدون إلى عقائدهم القديمة.

لكن المشكلة عند الأصوليين المسيحيين من أصل يهودي، هي: هل يأكل المسيحي من لحم لم يذبح على الشريعة الموسوية؟ بينما كان تفكير التحررين: هل نسمح بأكل اللحم الذي ذبح للأصنام، مما يدفع البسطاء للانحراف، والعودة لديانتهم القديمة؟

وفي نظر المتحررين، أن المسيحي المؤمن القوي، يقدر أن يأكل مما ذبح للأصنام، ولا يضعف، ولا يعود للقديم. وفي نظرهم، أنه لا إله، إلا هذا

الإله الواحد. وأن آلهة الأصنام ليست في عداد الآلهة. فالأكل مما ذبح للأصنام شيء عادي لا غبار عليه.

وفي رأيهم أيضاً، أن ممارسة الذبح على الشريعة الموسوية، ممارسة مجتمعية، لا علاقة لها بالدين. فليس للدين شيء يقوله عن ذبح البهائم. فذبح البهائم ممارسة صحية، ذات أصول علمية، لا علاقة للدين بها.

بطرس بين الأصولية والتحرر

كان بطرس أول من اجتاز اختبار دخول الأمم إلى المسيحية، وذلك في قيصرية. ولكن قيصرية تقع على أرض يهودية. فإنه رغم أنها رحلة بدء دخول الأممين إلى الإيمان المسيحي، لكن وجود الأمميين داخل الأرض اليهودية، وممارستهم السابقة لبعض العبادات اليهودية، جعل الصورة مختلفة، عن أهل الأمم، الذين يقيمون على أرض أممية، عند دخولهم إلى الإيمان المسيحي.

ذهب بطرس إلى أنطاكية. وجدهم يأكلون مما ذبح للأصنام، فجلس معهم وأكل (غلاطية ٢:١٢). ولكن جاء قوم، من مؤيدي الختان، من أورشليم إلي أنطاكية. وهنا تردد بطرس في الأكل مما ذبح للأصنام.

ولعلنا نرى هنا التناقض في شخصية بطرس. لما كان بطرس في قيصرية، عمد الأممي، ولم يتردد. ووقف بشجاعة أمام أهله، شعب الختان في

أورشليم. ولكنه هنا، في أنطاكية، تردد بطرس في الأكل مما ذبح للأصنام، أمام أعين أهله.

هناك فرق بين الحالتين: في قيصرية، كان ذهاب بطرس خاصاً بالكرازة. فحتى وإن كان قد دخل بيت الأممي، لكنه دخل بهدف الكرازة. أما في الموقف الآخر، فبطرس وسط الأمميين الذين قبلوا المسيح في أنطاكية، وهو يأكل معهم. فهذه شركة، فيما تداخل مع عادات لم يتعود اليهود عليها، ولم يقبلوها. واندماج بطرس مع مجتمعات، لها عادات غير مقبولة لليهود، يجعله في موضع المساءلة أمامهم.

لم يسترح بولس لهذا التصرف. فبطرس قائد. وينبغي أن يكون واضحاً، وأميناً في موقفه أمام الجميع. ولذا، كان بولس متشدداً. فقال: "لما أتى بطرس إلى أنطاكية، قاومته مواجهة، لأنه كان ملوماً" (غلاطية ٢ : ١١). فإنه "قبلها أتى قوم من عند يعقوب، كان يأكل مع الأمم. ولكن لما أتوا، كان يؤخر، ويفرز نفسه، خائفاً من الذين هم من الختان" (غلاطية ٢ : ١٢). بل إن برنابا أيضاً، انقاد إلى ريائهم" (غلاطية ٢ : ١٣).

قال بولس لبطرس: "إن كنت، وأنت يهودي، تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا" (غلاطية ٢ : ١٤).

من الصعب على إنسان أن يفصل نفسه عن مجتمعه، فالارتباط

الجماعي، عميق الجذور في كل إنسان. فمن السهل على إنسان أن ينزلق إلى الرياء، ليحفظ علاقته بجماعته. كما أنه من الصعب أن يكون الإنسان تحت حكم جماعته. فإن كانت جماعته أصولية، محافظة، فهي بذلك تسرع في الحكم عليه. وكثيرون يخافون من أحكام الناس. لقد خاف بطرس من جماعة الختان الأصولي (غلاطية ٢:١٢).

وللأسف الشديد، فإن الأصوليين قساة جداً في إصدار أحكامهم على الغير. وكان الأحرى بهم، أن يحكموا على أنفسهم. فمن يسارع بالحكم على الغير، يتسم بالكبرياء الروحية. والكبرياء الروحية -عند المسيح- كانت من الشرور الخطيرة التي لم تسترح إلى التعامل مع أصحابها.

ولكنه، جدير بالذكر، أنه بعد هذا الاختبار المؤلم، اكتسب بطرس الشجاعة، وكان موقفه في المجمع الرسولي، موقفاً جريئاً شريفاً وعظيماً.

جلسة المجمع

التقى وفد أنطاكية مع وفد أورشليم. وكان وفد أورشليم يتكون من يعقوب رئيساً، والرسل والمشايخ. كما كان وفد أنطاكية يتكون من بولس وبرنابا وتيطس وبعض إخوة أنطاكية. كان يعقوب رئيساً للمجلس، بحكم منصبه كقائد للمسيحية في أورشليم. وهناك عدد كبير من أعضاء الكنيسة حضروا المجمع كمراقبين (أعمال الرسل ١٥:٢٢ و٢٣).

يغلب على الظن أن هناك حوارات تمهيدية قد جرت مع المعنيين قبل انعقاد المجمع (غلاطية ٢:٢). ولا شك، أن الحوارات كانت تتضمن أقوالاً أكثر مما ورد في النص.

وما سجل من حوارات هو: حديث بطرس، ثم حديث برنابا وبولس، ثم حديث يعقوب. كان حديث بطرس دراسة لاهوتية عن القضية. وكان حديث برنابا وبولس يتضمن اختبارات تجديد كثيرين من الأمم. ثم ألقى يعقوب -في نهاية الجلسة- القرارات التي توصلوا إليها في الجلسة.

أخبار تجديد العديد من الناس في الأمم، كان لها أثر فعال عميق في الجلسة. تحدث برنابا وبولس عن خبرتهما مع الأمم، بعد أن تحدث بطرس (أعمال الرسل ١٥:٧-١٢).

الموضوعات التي طرحت للحوار في جلسة المجمع الرسولي الأول

كانت القضية الأولى، ولا شك، هي قضية عدم تطبيق الشريعة الموسوية على المؤمنين الجدد من الأمم.

ولا شك أن الحوار تطرق لبعض عادات المجتمعات الأممية، كالأكل مما ذبح للأصنام، وغير ذلك، ما يمارس منها، وما لا يمارس.

برغم أن لوقا لم يذكر أكثر من ذلك في أعمال الرسل، لكن بولس الرسول في رسالته إلى غلاطية، أشار إلى موضوع آخر كان محلاً للمناقشة في هذه الجلسة، وهو اختيار رسل لليهودية، ورسل للأمم (غلاطية ٢:٧).

فيحدثنا الرسول بولس في رسالته إلي غلاطية (٢:٧-٩): "إذ رأوا (المعتبرون أو الأعضاء المهمين في جلسة المجمع) أني أؤتمنت على إنجيل الغرلة، كما بطرس على إنجيل الختان. فإن الذي عمل في بطرس، لرسالة الختان، عمل فيَّ أيضاً للأمم. فإذا علم بالنعمة المعطاة لي، يعقوب وصفا ويوحنا، المعتبرون أنهم أعمدة: أعطوني وبرنابا يمين الشركة، لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان".

وهذا يرينا أن المجمع قام بتكريس رسولين، واحداً للختان وآخر للغرلة. فمن هذا المجمع، انطلقت الشرارة للكرازة في الأمم بلا حدود.

قضية عدم تطبيق شريعة موسى

عدم الأخذ بشريعة موسى، ليس أمراً هيناً بالنسبة لليهود.

فاليهودية جنس، ودين، وحضارة، ووطن. ولكن المسيحية دين فقط. فالذي يترك اليهودية، يشعر بأنه قد انفصل عن وطنه وعن حضارته. فكان فصل المسيحية عن الوطنية اليهودية، والحضارة اليهودية أمراً في غاية الخطورة. فاليهودية دين قومي، والمسيحية إيمان لا يرتبط بأمة

واحدة. اليهودية دين لأمة، والمسيحية دين لكل المسكونة.

المسيح مسيا لليهود ولغير اليهود. والخلاص يصبح فردياً لا قومياً. يختاره الإنسان بإرادته الفردية. وبفصل المسيحية عن الشريعة الموسوية، يلغي التمييز العنصري. فقد استمر اليهود، يتحدثون عن أنفسهم كشعب الله المختار، ولابد أن يكون واضحاً، أن كل العالم هو شعب الله المختار.

كان حديث بولس رائعاً. فبولس يهودي مختتن، فريسي، مارس الشريعة الموسوية (فيلبي ٣: ٥و٦). وبطرس يهودي، مختتن، مارس الشريعة الموسوية. وبطرس هنا يتحدث بوضوح، فالشريعة ثقل على كاهل الناس، لم يستطع الآباء ولا الأبناء أن يحملوه (أعمال الرسل ١٥: ١٠). كما أنه، لا بولس، ولا بطرس يريان ضرورة للختان. "ففي المسيح يسوع، لا الختان ينفع شيئاً، ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة" (غلاطية ٥: ٦). ويطلب بولس من أهل غلاطية: "فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية" (غلاطية ٥: ١).

فلا مكان لقيود على سلوك الإنسان، وشعارات الحرية والمحبة والإيمان هي أسس المسيحية. والشريعة لا مكان لها في الإيمان المسيحي. والذي يقود المسيحي، فهمه لروح كلمة الله.

وفي خلفية الحوارات في المجمع الرسولي الأول، هدف توحيد الكنيسة.

فليس من المعقول أن تنقسم الكنيستان في أورشليم وأنطاكية. فوحدة الجماعة هدف هام، يلزم التمسك به.

بطرس وبولس

بطرس يهودي، فلسطيني. صياد سمك. لم يخرج خارج فلسطين إلاّ قليلاً، وفي وقت متأخر في حياته. لكن وجوده قرب السيد المسيح، علمه الكثير. فقد عرف روح المسيح.

بولس مثقف، مسكوني، متعلم. أثرت عليه الحضارة الهللينية (اليونانية القديمة). كان متسع الأفق، رغم خلفيته اليهودية الفريسية. ويظهر لنا أنه تحرر من فريسيته.

يرجح البعض أن لوقا -كاتب سفر الأعمال- كان تلميذاً لبطرس. كان أول تجديد لأممي، على يد بطرس في قيصرية. ورغم تخصيص بولس للأمم، وبطرس لليهود، فقد ظهرت خدمات بطرس للأمم داخل اليهودية، وبولس لليهود خارج اليهودية.

لكن تخصيص بولس للأمم، يحرر بولس من قيود المجتمع اليهودي، ويجعله ينطلق بلا حدود في خدمة المجتمع الأممي.

قرارات المجمع الرسولي الأول

يتضح لنا من مجريات الجلسة، كما جاءت في (أعمال الرسل ١٥).

أن الأسلوب الديمقراطي الحديث، لم يكن معروفاً في عصرهم. وأن الحوار تم بالتشاور الهادئ. وأن "المعتبرين" كان لهم التأثير الأساسي في الجلسة. وقد أشار بولس إلى المعتبرين أنهم هم أعمدة الكنيسة (غلاطية ٢:٢ و٦ و٩). فالرسل والمشايخ هم أصحاب القرار.

وكان يعقوب رئيساً للجلسة. فأعلن القرارات في نهايتها، وشرح القرارات من وجهة نظره هو، وبذلك أنهى الحوار. اقتبس يعقوب من (عاموس ٩:١١ و١٢)، إشارته إلي مظلة داود الساقطة، التي أقيمت من جديد (أعمال الرسل ١٥:١٦). كما اهتم بالإشارة إلى أهمية موسى (أعمال الرسل ١٥:٢١).

وعندما أعلن يعقوب القرارات، أعلنها على أنها قراراته هو، عندما قال: "أنا أرى" (أعمال الرسل ١٥:١٩). ونصت القرارات على الآتي:

(١) لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم.

(٢) أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام، والزنا، والمختون، والدم (أعمال الرسل ١٥:١٩ و٢٠).

علّق يعقوب على أقوال بطرس، ولم يعلق على أقوال بولس، ولا على أقوال برنابا. وافق يعقوب على عدم ممارسة الأممين لشريعة موسى. هذا القرار لم يشمل اليهود. وقد كان هذا القرار نصراً عظيماً لبولس وبرنابا.

أما القرارات المرافقة، فهي قرارات تتفق مع السياسة اليهودية. وغالباً يُقصد بنجاسات الأصنام، الأكل مما ذبح للأصنام (راجع أعمال الرسل ١٥ :٢٩). أما الزنا، فهو الزنا الذي كان مشهوراً في معابد الوثنيين. أما المخنوق والدم، فهو يرجع لشريعة يهودية قديمة (تكوين ٩ :٤- لاويين ١٧ :١٠-١٥، تثنيه ١٢ :٢٣)، وهي تنص على عدم أكل المخنوق والدم.

يعقوب يغيِّر رأيه

يتضح مما جاء أعلاه، أن يعقوب، رئيس الجلسة، وقائد المسيحية الأولى، غيَّر رأيه. فالحوارات العديدة التي تمت، مع الخبرات التي تحققت في بلاد الأمم، عاونته على أن ينفتح على فكر جديد، ويقبله.

كان واضحاً، أن يعقوب اقتنع بأنه لا ضرورة للذين يؤمنون من الأمميين، أن يطبقوا شريعة موسى. ويعتبر هذا تغييراً واضحاً في تصرف يعقوب. فاقتناعه بهذه الفكرة -كان ولا شك- تغييراً جذرياً في الحوار بين فريقي أورشليم وأنطاكية. وقد انحازت أورشليم إلى يعقوب.

وقوة القرار هنا، أنه يصدر من يعقوب، زعيم المحافظين. فالقرار الذي طلبه المتحررون، متى صدر باسم زعيم المحافظين، كانت له قوة أكبر، وقبول أكثر.

الشخص المحافظ، عادة، لا يعطي فكراً جديداً. لكنه إن كان منفتحاً،

فهو يقبل الفكرة الجديدة، ولا يقتلها. أما المحافظ المنغلق، فهو لا يعطي فكراً جديداً، ويحاول أن يقتل أي فكرة جديدة. المتحرر، يكتشف الفكرة الجديدة، ويتبعها.

يعقوب أصولي، محافظ. لذا، فهو لم يذهب كل الطريق، مع بولس وبرنابا. حاول أن يُجري تسوية في باقي الأمور. ولعل هذا كان متوقَّعاً منه.

قرار التسوية

أجرى يعقوب تسوية. ساند الأمم بأن قال: "لا نضع عليكم ثقلاً أكثر" (أعمال الرسل ١٥ :٢٨)، لكنه أضاف: "غير هذه الأشياء الواجبة" (أعمال الرسل ١٥ :٢٨) "أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنا، التي إن حفظتم أنفسكم منها، فنعمًّا تفعلون" (أعمال الرسل ١٥ :٢٩). فإنه مقابل رفضه لتطبيق شريعة موسى مع الأمميين المؤمنين بالمسيح، وضع قيوداً يهودية على الأمميين.

فقد كان يهم يعقوب كقائد، أن يرضي كل الأطراف. فقراراته فيها ما يرضي الأمم، وفيها ما يرضي اليهود. والتسوية عادة، لعبة سياسية، تجعل الناس يستريحون نفسياً. فتكون الصورة، أن قراراً ما كان لصالح طرف، وقراراً آخر كان لصالح الطرف الآخر.

رأى الروح القدس ونحن

فالذي قصه يعقوب، هو أن الروح القدس، كان عاملاً فيهم، خلال الحوارات الجانبية، أو الحوارات خلال جلسة المجمع. وعندما أعلن قراراته الأخيرة، كانت هذه القرارات نتيجة إرشاد روح الله للجماعة، وآراء الجماعة، مشتركين معاً.

فاعتبر يعقوب أن القرار هو "رأى الروح القدس ونحن (أي الجماعة)" فالواقع أن الروح القدس لا يقرر وحده. روح الله شريك البشر في قراراتهم. ودور البشر هنا، يرتبط بما لهم من معرفة وعلم، وخبرة إلى غير ذلك. ولا شك أن روح الله يعمل من خلال الإنسان، وفي حدود خبرته وعلمه. وبذلك فإن القرار، دائماً، له محدوديته البشرية.

فالذي يدّعي أن قراراً ما، هو قرار الله وحده، يدّعي لنفسه سلطة ليست له. وحيث أن أي قرار، يرتبط برأي البشر، فأي قرار ليست له العصمة، وليس له الدوام.

هل قرار التسوية ملزم ودائم؟

اهتم يعقوب جداً بوحدة الكنيسة في عصره. ولذا فالقرارات التي صدرت ارتبطت بالظروف المتاحة. اهتم يعقوب بمشاعر اليهود الذين اعتمدوا، والأممين الذين اعتمدوا في عهده.

وكان القرار، رغم أهميته في وقته، ضعيفاً. ولذا نرى أن بولس، بعد أن أخذ يمين الشركة، ليكون رسولاً للأمم، ثار ثورة عارمة على هذا القرار، وكل محتوياته.

هاجم بولس الأصوليين المحافظين، واتهمهم بأنهم "أخوة كذبة"، دخلوا ليتجسسوا حرية المؤمنين في المسيح (غلاطية ٢:٤). وأعلن أنه "ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح (غلاطية ٣:٢٨). "لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن رباً واحداً للجميع، غنياً لجميع الذين يدعون به" (رومية ١٠:١٢). ثم قال "حيث، ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري سكيثي، عبد حر، بل المسيح الكل وفي الكل" (كولوسي ٣:١١).

ورفض بولس كل دعوة تختلف مع الدعوة التي قدمها. قال: "إنني أتعجب، أنكم تنتقلون هكذا سريعاً، عن الذي دعاكم بنعمة المسيح، إلى إنجيل آخر" (غلاطية ١:٦). وقال: "ليس هو آخر، غير أنه يوجد قوم، يزعجونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح" (غلاطية ١:٧).

ثم أضاف: "ولكن، إن بشرناكم، نحن أو ملاك من السماء، بغير ما بشرناكم، فليكن أناثيما"(غلاطية ١:٨). وقال أيضاً: "كيف ترجعون إلي الأركان الضعيفة؟" (غلاطية ٤:٩). "أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً

وسنين؟" (غلاطية ٤ : ١٠). "إن اختتنتم، لا ينفعكم المسيح شيئاً" (غلاطية ٥ : ٢). كان بولس يقصد بكل هذا، كل التيارات الفكرية، التي تفرض شريعة موسى، على المؤمنين بالمسيح. ورفض الختان بوضوح، كما رفض الأعياد اليهودية، والمناسبات اليهودية المقدسة. اعتبر هذه كلها إنجيلاً آخر، كما اعتبرها أناثيما.

وفي موضوع الأكل مما ذبح للأصنام، كان للرسول بولس رأي صريح وجريء. فقد عرض رأيه بصراحة في رسالته الأولى إلي أهل كورنثوس (٨ ، ١٠) وفي رسالته إلي غلاطية (٢ : ١-١٠). فالرسول بولس يرى أنه "ليس وثن في العالم، وأنه ليس إله آخر إلا واحداً... ولكن لنا إله واحد الآن الذي منه جميع الأشياء ونحن له.. ورب واحد الذي به جميع الأشياء ونحن به" (كورنثوس الأولى ٨ : ٤ و٦). "فإن أكلنا لا نزيد، وإن لم نأكل لا ننقص" (كورنثوس الأولى ٨:٨). والوثن شيء، وما ذبح للوثن شيء آخر (كورنثوس الأولى ١٠ : ١٩). وقد نصح الرسول بولس بأن "كل ما يباع في الملحمة، كلوه غير فاحصين من أجل الضمير" (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٥). كما قال: "كل ما يقدم لكم كُلوا منه، غير فاحصين من أجل الضمير" (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٧). ثم تساءل: "لماذا يحكم في حريتي من ضمير آخر؟" (كورنثوس الأولى ١٠ : ٢٩).

ومع هذا، فإن الرسول بولس، الذي لا يرى مانعاً أن يأكل مما ذبح

للأصنام، وضميره مستريح كلية، فليس لديه مانع أن يمتنع عن أكل اللحم، إن كان هذا يعثر أخاه (كورنثوس الأولى ٨:١٣). وهو يقصد هنا، إن كان الجلوس على مائدة طعام الإله الوثني، الذي ذبح اللحم له، يجعل الضعيف إن جلس على المائدة، يترك عبادة الإله الحي، ويعود إلى عبادة الأصنام، فهو لهذا يمتنع عن الأكل.

إلاّ أن الرسول بولس يرى أن الاشتراك في الأكل مما ذبح للأصنام أو عدم الاشتراك قرار شخصي. لا يحتاج لقرار الكنيسة. فليس للكنيسة أن تصدر قرارات بالحلال والحرام. هذه قرارات يقدرها أصحابها حسب ظروفهم.

من هذا العرض نرى، أن قرارات المجمع الرسولي الأورشليمي الأول، كانت ملزمة للكنيسة في وقتها. لكنها لم تكن، ولا يجوز أن تكون ملزمة للكنيسة أكثر من ذلك. فللكنيسة، أن تكتشف، في كل عصر، دورها ومسئوليتها، للمستقبل، دون ارتباط بالماضي.

أهمية المجمع الرسولي الأول

مجرد لقاء القيادة الكنسية، كان خطوة على طريق وحدتها، وتماسكها، والتزامها بالعمل المشترك. والمجلس الرسولي الأول، يرينا أهمية الوحدة الكنسية.

وقرارات المجمع، ترينا أن الوحدة الكنسية، لن تكون وحدة مطلقة،

فهي وحدة في تنوع. فمن المستحيل أن يتوحد شعب الله في فكره، وتفسيره للوحي، وتطبيقه للمباديء. فكل جانب يرى المعاني من خلال حضارته وثقافته. والتنوع مفيد للجميع. ولكن ارتباط الهدف الواحد، يجمع الكل في إطار واحد، رغم التنوع.

كما أن المجمع الرسولي الأول، يرينا أسلوب العمل الجماعي، الذي كان متعارفاً عليه في عصره، مما يساند ويدفع للعمل الديمقراطي الكنسي في كل مكان.

ولا شك، أن المجمع الرسولي الأول، يعطينا صورة رائعة، عن انفتاح الكنيسة الأولى، لمواجهة المجتمعات الجديدة، بما لها من حضارات، وكيف تحتاج للتأقلم والتكيف مع هذه الحضارات متى لزم، دون المساس بالأساسيات الإيمانية.

ملحق -٣:

قضايا فكرية
من دراسة قصتي
كرنيليوس ومجمع أورشليم

لا شك أننا استمتعنا ونحن ندرس مع لوقا الإنجيلي، سفر أعمال الرسل الذي كتبه، الفصول ١٠ ، ١١: (١-١٨)، ١٥. فهذه الفصول الثلاثة، تسجل لنا خبرة رائعة عظيمة، لتاريخ مجيد، في حياة الكنيسة الأولى.

وليكن واضحاً، أن الكنيسة الأولى، كانت تتحسس الطريق، وتكتشف المعاني والأساليب، في وقت لم يكن العهد الجديد قد اكتمل بعد. ومن خلال محاولة فهم فكر السيد المسيح، والصراع الفكري حول القضايا المطروحة، أمكن للكنيسة الأولى، أن ترسم الطريق.

تثير هذه الدراسة قضايا فكرية عديدة يمكن طرحها للمناقشة والحوار. فإن كانت المسيحية قد واجهت صراعات عديدة من اليهودية التي سبقتها تاريخياً. ومع الوثنية، أو اللادينية التي تواجدت معها داخل الحضارة الرومانية واليونانية، فالمسيحية اليوم تعيش مع حضارات وديانات عديدة. ويمكن استنباط قضايا فكرية عديدة تطرح للحوار.

ونحن هنا نحاول أن نقدم قضايا محدودة، نطرحها باختصار، للحوار. والهدف منها محاولة اكتشاف بعض القضايا الفكرية التي تعتبر ضمن التحديات التي تواجهها المسيحية في مجتمعات اليوم والغد.

(١) المسيحية دين للعالم أجمع
لا يرتبط بأمة ولا بلغة

جاء السيد المسيح في مجتمع اليهود. فاليهود أمة. ودين اليهود دين لأمة معينة. اعتبر اليهود أنفسهم أعظم أمة على وجه الأرض، فهم شعب الله المختار. ارتبط الدين باللغة العبرية.

جعلت اليهودية في الهيكل مكاناً خاصاً لليهود، ومكاناً خاصاً لغير اليهود. أعطت الرجال مكاناً متميزاً، وتركت للنساء مكاناً خلفياً. اعتمدت اليهودية على شرائع بعضها يرتبط بالأكل (ما هو حلال وما هو حرام)، وبعضها يرتبط بالمعاملة مع الغريب أو مع القريب، وبعضها يتعلق بالمرأة، حياتها وملابسها، إلى غير ذلك. كما ارتبطت بشريعة الختان التي كانت عهداً أبدياً لشعب اليهود مع يهوه. كل هذه الارتباطات حضارية. وكأن الذي يدخل اليهودية، لابد له أن ينكر حضارته وثقافته. ويتبنى حضارة اليهود.

ارتبطت القيم الدينية، عند اليهود بمجتمعهم. فشريعة حفظ السبت، ترتبط بكل أنواع الحركة والعمل يوم السبت. واليهود يفرضون حفظ السبت على غير اليهود، الذين يقيمون في مجتمعاتهم. فالدين بالنسبة لهم مجتمع، يخضع لنظم معينة، سواء آمن بها المقيمون فيها أو لم

يؤمنوا.

وخطورة هذا النوع من الدين أنه تديين لنحضارة البشرية، مما يقيد الدين، ويسيء إليه. فالحضارة تراث المجتمع. الحضارة متغيرة، والدين ثابت. والحضارة تلتزم بالتعددية، والتنوع. والدين، لا يجوز أن يكون فرضاً على شعب أو على إنسان. فالأساس في الدين، هو الاختيار الحر، ليكون من يختار مسئولاً عما يعمله.

ليست المسيحية ديناً لأمة واحدة. فمنذ بداية التاريخ المسيحي، انتشرت المسيحية في دول عديدة، وأمم مختلفة. ولن تكون المسيحية ديناً لشعب معين.

ولن ترضى المسيحية، أن تتعامل مع شعب واحد، تعطيه ميزة فوق غيره من الشعوب. فكل أمة في العالم، هي أمة عظيمة، وكل شعب في العالم متميز بثقافته وحضارته، وكل دولة في العالم لها خصوصيتها وذاتيتها واحترامها. فالله خالق الجميع.

ادّعى البعض، فترة من الزمن، أن المسيحية مرتبطة بالغرب. ولعل انتشار مرسليات مسيحية من الغرب، في دول العالم الثالث، أعطى هذا المعنى. لكن المسيحية لم ترتبط بالغرب. فقد تواجدت في الشرق كما في الغرب، في الشمال كما في الجنوب. فقد كانت المسيحية دائماً مختلطة

مع حضارات متنوعة ومتعددة.

ولم ترتبط المسيحية بلغة واحدة. تحدث السيد المسيح بالعبرانية والأرامية. وتحدث الرسول بولس باليونانية. ولم تلتزم الكنيسة يوماً ما بلغة ما. فكل اللغات محترمة، وكل شعب له خصوصيته بلغته. وقد تُرجم الكتاب المقدس إلى أكثر من ألف لغة، ليصل إلى كل شعب باللغة التي ينطق بها. ولذلك، فلكل شعب الحق في تفسير الوحي المقدس، في ضوء خبرته وحضارته، وفهمه للمعاني.

وبالتالي، فالمسيحية لم ترتبط بلغة، تعطيها القدسية، فوق لغات أخرى. فلغات الشعوب متعددة، وليس فيها ما يسمو فوق غيره من اللغات.

من هذا كانت المسيحية، وستستمر ديناً لكل الشعوب، وكل الدول، وكل اللغات. تعيش المسيحية في كل ثقافة وبيئة، تتواجد مع كافة النظم السياسية، على اختلاف أنواعها، وتتفاعل مع المجتمعات بكافة ثقافاتها، وتقاليدها وعاداتها. فهي دين للجميع دون تفرقة. وللإنجيل مكان حي في كل ثقافة وبيئة. فتارة تقبل الإنجيل حضارة مجتمع ما، وتارة تطور منها ما لا يتفق معها، لتكون الحضارة خادمة للشعب، معاونة الإنسان أن يتقدم ويتفوق.

ولم ترتبط المسيحية بشرائع أو نظم للمأكل والملبس والحفلات والولائم. فهذه كلها من حضارات الشعوب. فليس للمسيحية شروط ما، لذبح البهائم. وليست لها قوانين في ملابس المرأة، ونظم حياتها في المجتمع. ولا تضع المسيحية شرائع لأكلات محرمة، وأكلات غير محرمة. فليست هناك بهائم محرمة وأخرى غير محرمة. فكل هذه ترتبط بحضارات الشعوب، والمسيحية تترك للناس، وللشعوب، حرياتهم، فيما يأكلون، وفيما يشربون.

بل إن السيد المسيح نفسه لم يتحدث قط عن الملبس، والمأكل والمشرب. لم يعط اهتماماً لهذه، وتركها للمجتمع.

ولم تضع المسيحية شرائع للفصل بين المسيحيين وغير المسيحيين. فقد كان في اليهودية نظم تمنع دخول اليهود إلى بيوت غير اليهود، وتمنعهم من الأكل معهم. وقد كان السيد المسيح نموذجاً واضحاً، في الاختلاط بالأبرار والأشرار، دخل بيوتهم، واشترك في حفلاتهم. والمسيحية تأخذ نفس النهج. فالمسيحية لا تفرّق بين الناس، بل تدعو للاندماج والتعاون بين الجميع.

وضع السيد المسيح مبادىء عامة: كالمحبة، والعدالة، والحق. دعا المجتمع إلى بناء قيم سليمة للمجتمع، وللعلاقات الإنسانية. دعا للمساواة،

ولحب الجميع. دعا لاحترام المرأة، وإعطائها مكانها في المجتمع. هاجم الأساليب التي تسيء للمرأة، ودافع عنها. اهتم بالفقراء، ودعا الأغنياء لإعطاء أولوية في الاهتمام بالفقراء. دعا الناس إلى سلوك إيماني حميد، مع عبادة ثابتة لله.

الخلاصة

هذه مباديء عامة. يمكن تطبيقها داخل كل مجتمع، وكل حضارة بأساليبها المتنوعة ،فالمسيحية تحترم حضارات الشعوب، ولغاتها، وثقافاتها. والإنجيل يتفاعل مع كل حضارة، وكل مجتمع، وكل لغة. فلم يميز الله بين الشعوب، ولم يميز بين المجتمعات. فالكل خليقة الله، ولا يجوز التمييز بين شعب وشعب بالتعالي على الغير، أو بتحقير الغير. أو الإقلال منه.

والمسيحية لا تفرق بين فئات البشر، فالرجال والنساء سواسية، الكبار والصغار يشتركون معاً بعدالة، ولا فرق بين جيل وجيل، ولا بين مجتمع وآخر.

كل شعب يريد أن يحتفظ بخصوصيته الذاتية لنفسه، فخصوصياته تعبر عنه، وتميزه عن باقي الشعوب. ولم يكن السيد المسيح لينفي عن أي مجتمع ذاتيته. ولم يفرض على أي مجتمع، ذاتية مجتمع آخر.

ولذا كانت دعوة السيد المسيح لتلاميذه، منذ البدء، أن يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها. فليس الإنجيل محدوداً بشعب، أو بلغة، لكنه يحمل الأخبار السارة، المفرحة، والمطمئنة، لكل المجتمعات البشرية على وجه الأرض. والروح القدس يعمل في الجميع دون تفرقة.

(٢) جاء المسيح ليكمل

تنوعت التفسيرات في قول السيد المسيح إنه لم يأت لينقض، بل ليكمل. هل معنى ذلك، أن العهد القديم باق كما هو، يحمل رسالته وقيمته، بعد أن جاء السيد المسيح؟ وهل نرتبط نحن اليوم بشرائع العهد القديم ونظمه؟ هل هذا هو ما قصده السيد المسيح؟

نحن نحاول أن نفهم فكر السيد، ولا ندّعي أننا نعرفه كالحق الكامل. نحن نحاول -في حدودنا البشرية- أن ندرك المعاني. ونحن ندرس الإنجيل بكامله، نفهم روح السيد، وروح المعنى، وبذلك نفسر الكلمة.

للعهد القديم ضرورة قصوى. فهو الأساس الذي بني عليه الفكر اللاهوتي، الذي يفسر علاقة الله بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالله من جانب، وعلاقة الإنسان بالإنسان، من جانب آخر.

ونحن نفهم أن الوحي تدرج. فتعامل الله مع الناس، عبر الزمن، بحسب مفاهيمهم، ومن خلال حضاراتهم وخبراتهم. ولو درسنا الفكر الموسوي وقارناه بالفكر النبوي، للأنبياء المتأخرين، لوجدنا تطوراً كبيراً -مع الأنبياء- في فهم شخصية الله، ومعاملته للبشر، وانتظاراته من الشعوب، حتى جاء السيد المسيح، كمال الإعلان الإلهي. وبذلك، أصبح الفكر في المسيح هو تكميل شامل نهائي لصورة الله الآب، وعلاقته

بالبشرية، وعلاقة البشر به وببعضهم البعض. فكل ما يتناقض مع فكر المسيح، مما جاء قبله، لا مكان له. فلا يجوز لنا أن نأخذ الأفكار التي لا تتفق مع كمال الإعلان الإلهي، في شخص المسيح يسوع.

وقد شرحت الرسائل في العهد الجديد، أن نظم الذبائح اكتملت وتحققت في الذبيح الأعظم، السيد المسيح. ولذا ألغيت كل الذبائح. ولما كان تواجد المسيح، قد أسقط حائط السياج المتوسط، ولما كان صليب المسيح، قد شق حجاب الهيكل، فقد تغير نظام العبادة اليهودية، إلى نظام جديد، فيه تتساوى كل فئات الشعب، دون تفرقة.

ولما كان السيد المسيح، لم يتحدث عن قيم حضارية ترتبط بحضارة المجتمعات، كالملبس والمأكل والمعيشة. فكل ما يرتبط بهذه المعاني في العهد القديم لا مكان له في العهد الجديد. فالإنجيل يدخل كل مجتمع، ويتفاعل مع حضارته. فللمسيحية الأفريقية لون يختلف عن لون المسيحية الغربية، أو المسيحية الأسيوية، وهكذا.

إلاّ أن العهد القديم -إلى جانب ذلك- مليء بالدراسات المتعمقة، والخبرات العظيمة، والمعاني بعيدة النظر. ولابد من دراسته. فدراسة النص، في ضوء الظروف المحيطة به، يمكننا أن نرى، كيف واجه الأقدمون المواقف بحزم، وبحسم، وبرؤية.

لقد ثبّت المسيح قيم المحبة والإيمان والرجاء والعدالة، لتطبيقها على كافة المجتمعات، من خلال حضاراتها المتنوعة.

(٣) المسيحية تدعو لاحترام الآخر

علاقة اليهود بغير اليهود ، كانت تمثل مشكلة اجتماعية كبيرة. ولما كانت هذه العلاقة قد كساها اليهود بمسحة دينية، فقد تسببت في مشكلات عارمة.

فغير اليهود ، ليسوا شعب الله المختار. وبالتالي فهم أشرار. حكم عليهم المجتمع اليهودي بالكفر. وبالتالي، فالتعامل معهم شر. ولا يجوز زيارتهم، أو الأكل معهم. نظر اليهود للأميين نظرة التدني والاحتقار.

كانت هذه صورة مؤسفة. فكيف يتعالى بشر على بشر؟ ثم يستخدمون الله في تعاليهم، وكأن الله قصد أن يكونوا أفضل من غيرهم في قيمتهم الذاتية.

كان تعامل بطرس مع كرنيليوس، صورة صحيحة لما يلزم أن تكون العلاقة عليه، بين شعب الله، والغير. فليس لنا أن نحكم على غيرنا ، بل نترك الحكم لله وحده. فإن لله المسكونة كلها، وما فيها. لنا الحق أن نحكم على أنفسنا، لكن ليس لنا الحق أن نحكم على غيرنا.

وقد أدرك بطرس خطأ التعليم اليهودي، الذي حرَّم على اليهودي أن يدخل إلي بيت الأممي، وأن يأكل معه. تعلم بطرس من السيد، عندما قال له: "ما طهره الله، لا تنجسه أنت" (أعمال الرسل ١٠:١٥). فالآخر

خليقة الله، ولا يجوز لنا احتقاره، أو الإقلال من شأنه.

قد يختلف الآخر عنا في الجنس أو الدين أو اللغة. وقد يختلف عنا في الحضارة. وقد شاءت إرادة الله، أن يتنوع العالم في اللغات، والحضارات، والثقافات، والديانات. بدأ هذا التنوع مع الجنس البشري، منذ بدء الخليقة. ومهما كان التنوع، فنحن ملتزمون باحترام الآخر، وقبوله، والتعامل معه متى لزم.

(٤) لا يجوز الخلط بين الصحة والدين

استمعت إلى شخص غير مسيحي يقول: "كل ما يضر الجسم شر". وتذكرت على التو، قول مسيحي: "كل ما يضر الجسم خطية". هناك اتجاه شائع، لتحويل كل المعاني إلي قيم دينية، وكان الأحرى أن تستمر هذه القيم صحية، كما هي.

اعتبر اليهود غسل الأيدي قبل الأكل شريعة، وغسل الأرجل مظهراً دينياً. وكان الأحرى أن نفهم أن النظافة مهمة صحية. وليس هنا داع أن نخلط بين نظافة الجسد والإيمان. فالنظافة هامة، وإهمالها تنتج عنه أضرار جسمية. لكن إهمال النظافة لا يضيع الإيمان بالله.

قضية ختان الإناث صارت من القضايا الحاسمة في المجتمع المعاصر. وأعجبني قول شيخ الأهر، دكتور محمد سيد طنطاوي، أن هذه القضية يفصل فيها الطبيب. فكلما تنزَّه الدين عن أمور ترتبط بالصحة والمجتمع كان الدين يحتفظ لنفسه بشئون أسمى وأعلى.

يتشدق كثيرون من الناس بالحديث عن ملابس المرأة، فهناك ملابس تتفق مع الدين، وهناك ملابس لا تتفق مع الدين. الأولى حشمة والثانية تنتفي الحشمة عنها. والواقع أن الحشمة قيمة اجتماعية، وهي قيمة نسبية. فما يعتبره مجتمع ما غير محتشم يعتبره مجتمع آخر محتشماً، وهكذا.

وأساس الملابس، إنها قيمة اجتماعية، يتحكم فيها العُرف، ورأي المجتمع. ويمكن أن يتعدد رأي المجتمع في بيئة واحدة، بصور مختلفة، تتفق كل منها مع المجموعة التي تتعايش معاً.

هل يمكننا، أن نفصل بين الدين والصحة؟ وبالتالي هل يمكننا أن نحتفظ بقيم المجتمع الإنسانية، قيماً مجتمعية، ترتبط بتقاليد المجتمع وعاداته ولا نربط بينها وبين الدين؟

(٥) الصراع بين الأصولية والتحرر

ضرورة لمواجهة تحديات العصر والمجتمعات

رأينا خلال الدراسة الصراع الذي وقع بين الأصوليين والمتحررين في المجمع الرسولي الأورشليمي الأول. وقد كان هذا الصراع ظاهرة صحية، نتج عنها حل المشكلات بأسلوب سلمي. فالحل الأمثل، هو الحل الذي يعالج المشكلة، بغض النظر عن طبيعة واتجاه الناس الذين يدافعون عنه.

كان يعقوب، عاقلاً وحكيماً. فرغم أنه من مؤيدي "الختان"، وأنه يمثل المدرسة الأصولية في الفكر، لكنه أراد أن يدرس حاجة الكنيسة، وما يلزم لها لتقدمها، وظروف الأمميين، وما يلزم لهم في نموهم الروحي. فكانت النتيجة أن يعقوب أخذ برأي المتحررين، وقبله.

كان الصراع الفكري هنا، صراعاً موضوعياً. مشكلة الصراع أنه في مرات عديدة يتحول إلى صراع شخصي، بين أشخاص معنيين، فتضيع القضية، وتكون النتيجة ضارة بالكنيسة. ولكن الصراع الفكري، متى استمر موضوعياً، كان نواة تقدم، ونجاح.

ولو أن الأصوليين اتجهوا بفكرهم، إلى الحكم والإدانة لكل من يختلف معهم، لأغلقوا الباب على حوار بناء، وعلى الوحدة المسيحية.

تحتاج الكنيسة لكل الفئات، وتقدر الكنيسة أن تستفيد منهم، متى أمكن أن يقوم بينهم حوار ناضج واع بناء. فالمحافظون، يعاونون على بقاء الكنيسة، وحمايتها من التطرف. والمتحررون، يعاونون الكنيسة على الانطلاق برؤية مستقبلية. لكل فريق ميزاته وعيوبه. ولو أمكن إقامة، حوار، فيه احترام كل طرف للآخر، لأمكن لعمل الله أن يتقدم وأن ينمو.

تعليق ختامي

علاقة الدين بالحضارة موضوع يشغل الذهن العالمي في مجتمع اليوم. وهناك دراسات عديدة في مجتمعات مختلفة حول هذا الموضوع.

وقد حاولنا هنا أن ندرس علاقة الإنجيل والحضارة. فبعد دراستنا لمضمون الحضارة المعاصر، ومفهوم الإنجيل، حاولنا أن نكتشف بعض القضايا التي تطرحها هذه الدراسة للحوار والتفكير.

ولعل القاريء يدرس ويكتشف بنفسه من خلال هذه الدراسة ما يراه مناسباً، في عصر يواجه فيه الإيمان تحديات مجتمعية عديدة، وبحوثاً علمية جديدة ومثيرة.

إن قضيتنا الهامة، ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين، أننا ونحن نواجه تحديات العصر بكل ما فيها، أن يبقى الإيمان بالله عصب الفكر والتقدم في العالم.



دكتور القس صموئيل حبيب
رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر
ومدير عام الهيئة القبطية
الإنجيلية للخدمات الاجتماعية.

* نال درجة الدكتوراه في اللاهوت من سان فرانسيسكو (كاليفورنيا) عام ١٩٨٤ وماجستير في الصحافة من جامعة سيراكيوز بنيويورك (١٩٥٥).

* حصل على ثلاث درجات دكتوراه فخرية من كليات مسكنجهام (أوهايو) عام ١٩٨٢ وإكزافييه (كندا) عام ١٩٩٤ وجامعة وستمنستر عام ١٩٩٥.

* ألف وترجم أكثر من ٦٠ كتاباً منها:

- الموعظة على الجبل شريعة أم طريق حياة
- المسيح ثائراً
- الإدارة الكنسية
- دراسة في فيلبي
- المرأة في الكنيسة والمجتمع
- الكنيسة والدولة
- لاهوت التحرر
- فن قيادة الجماعات
- الكنيسة في مجتمع متطور
- تنظيم النسل: وجهة نظر مسيحية
- الصلاة حوار يغير الحياة